إهداء

إلى أخي الكريم سعادة الأستاذ الدكتور :
سمير عبد الوهاب الجويني
رئيس قسم أصول التربية
بكلية التربية بجامعة طنطا ..

أخوك :
دكتور محمد سعد القزاز

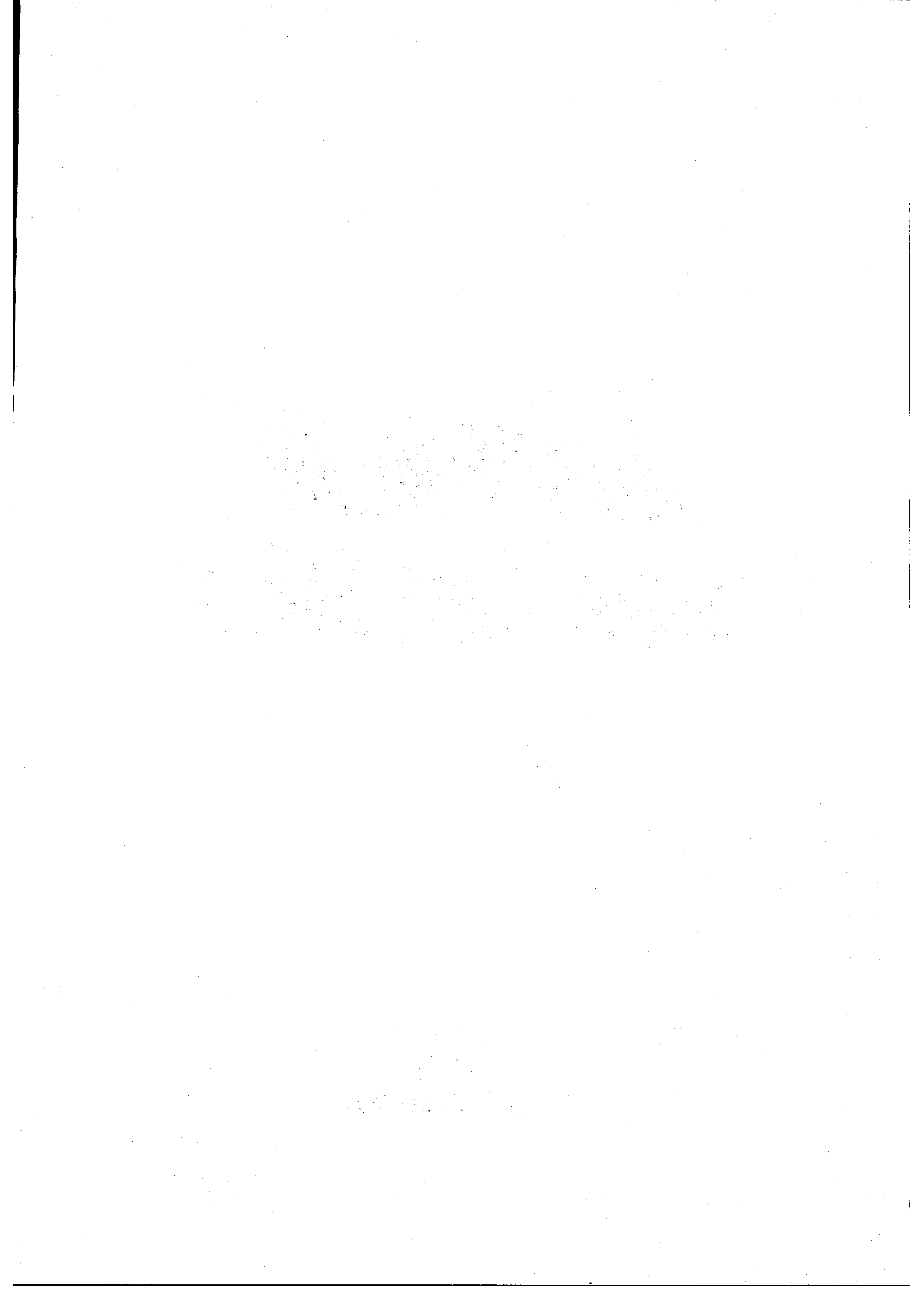
التربية الجنسية في ظلال السنة النبوية

د. محمد سعد القزاز

الكتاب : التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية
المؤلف : د / محمد سعد القزاز
الناشر : دار فرحة للنشر والتوزيع المنيا ــ ٢٨ ش عدنان المالكى
☎: ٣٥٣٨٢١ / ٠٨٦ - ٠١٢٢٣٥٠١٩٧٣
طباعة : دار التيسير للطباعة المنيا ــ حى المطافى
☎ : ٠١٠١٩٥٣٠٥٦ ــ ٠١٠١٩٥٣٠٥٤
رقم الإيداع : ١٩٧٨ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : ٢ - ٠١ - ٦٠٦٣ - ٩٧٧

التربية الجنسية في ظلال السنة النبوية

الناشر
فرحة للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم

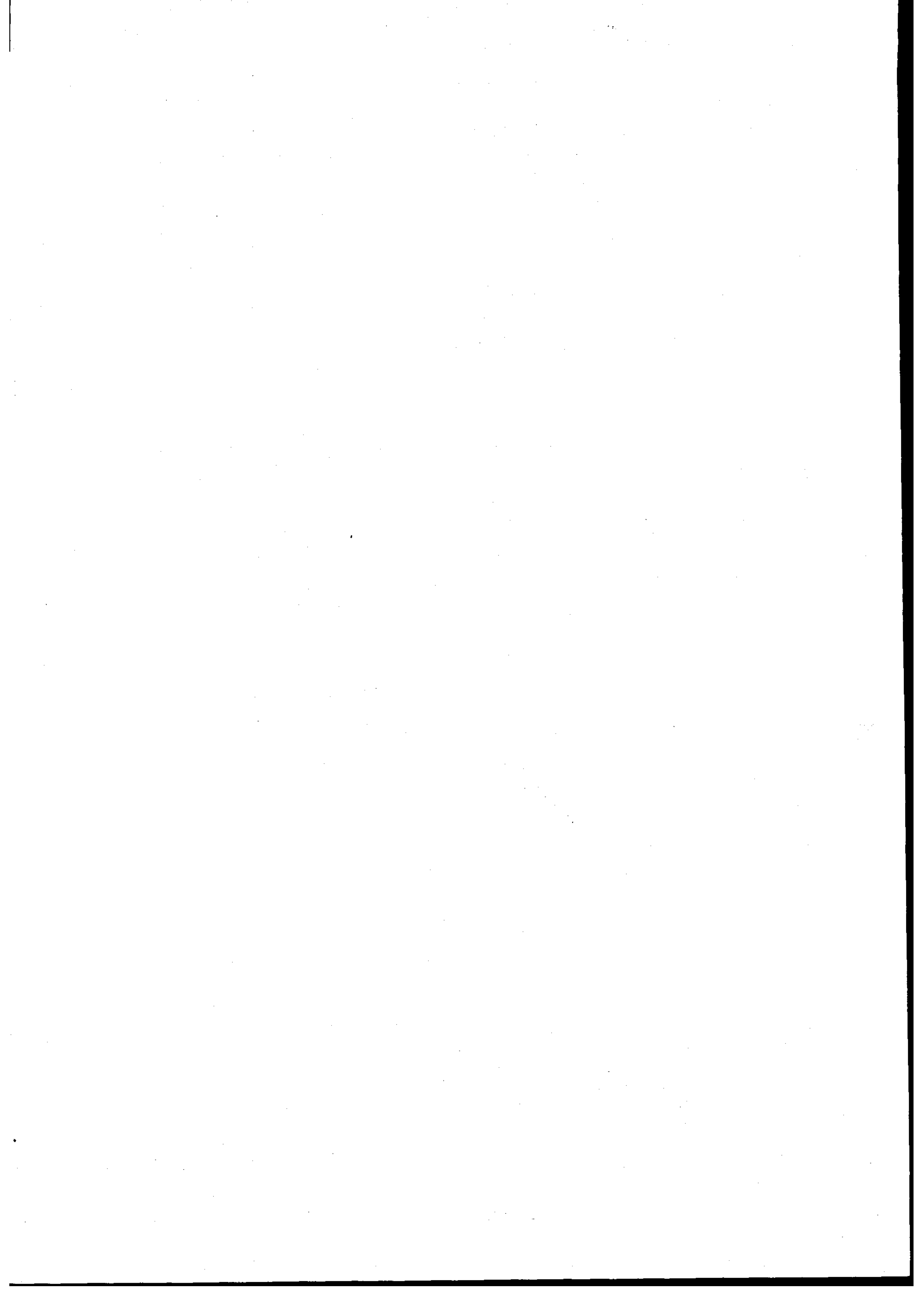
مَنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ

«الروم، ٢١»

وقال رسول الله ﷺ:

«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج،
ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء».

رواه مسلم

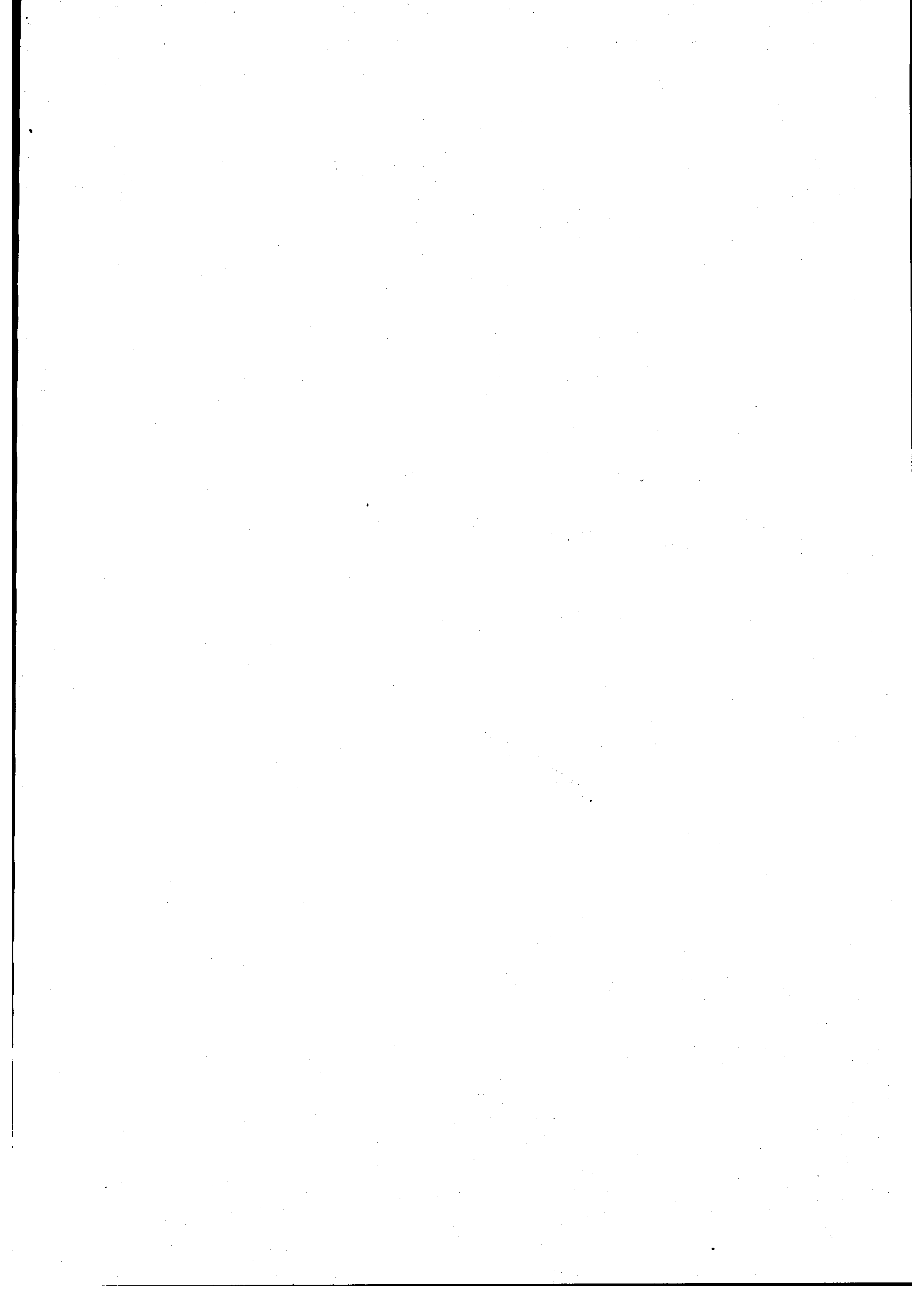


إهـــداء..

أهدى هذا الجهد المتواضع إلى أولادى
السائرين على طريق الفضيلة
المتمسكين بالأخلاق النبيلة
الذين يحلمون بغد أفضل من الحاضر..
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دكتور محمد القزاز

طنطا ـ أول رمضان ١٤٢٠هـ
الموافق ٩ ديسمبر ١٩٩٩م



مقدمة

للمجتمع الإسلامى قيمه الخاصة به، والتى تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى. على اعتبار أن هذه القيم ضوابط ومعايير أساسية للسلوك الفردى والاجتماعى، وهى «تنتظم فيما يسمى بالبناء القيمى الذى يعكس أهداف المجتمع المسلم من التربية الإسلامية. إذ لا سبيل إلى تحديد الأهداف التربوية الإسلامية لتكون معبرة عن طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع إلا عن طريق القيم».(١)

وتوجد القيم، داخل إطار المجتمع، ويتربى عليها الأفراد. وهى بدورها تعبر عن صورة المجتمع إذ يكتسبها الفرد ويتشربها ويستدخلها تدريجياً ويضيفها إلى إطاره المرجعى لسلوكه، ويتم ذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية».(٢) وبناء على هذا فإن القيم تحتل مركزاً أساسياً فى توجيه العملية التربوية، خاصة إذا علمنا أن التربية عبارة عن عملية إعداد الأفراد - فى مجتمع ما - ليكونوا مواطنين صالحين لمجتمعاتهم، يستطيعوا التعايش والتفاعل مع مجتمعاتهم التى نشأوا فيها وبذلك تعمل التربية على تشكيل الشخصية الإنسانية على أساس ما يسود المجتمع الإنسانى من تنظيمات وعلاقات وأدوار فى ضوء قيم معينة اختارها المجتمع وشكلت إطاره الثقافى الذى يقوم عليه هذا المجتمع وبالتالى تتم عليه العملية التربوية.

---

(١) دكتور على خليل مصطفى أبوالعينين: القيم الإسلامية والتربية (دراسة فى طبيعة القيم ومصادرها، ودور التربية الإسلامية فى تكوينها وتنميتها) - مكتبة إبراهيم حلبى - المدينة المنورة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨، ص٧، ٨.

(٢) دكتور حامد عبدالسلام زهران: علم النفس الاجتماعى - الطبعة الثانية - عالم الكتب - القاهرة - ١٩٧٣، ص١١٧.

ولما كانت القيم فى المجتمع الإنسانى لا تستورد ولا تأتيه من خارجه. إذ أنها ليست سلعة تباع أو تشترى، كما أنها لا تفرض عليه، لأنها معبرة عن المجتمع . بحسبه . وهى جزء من كيانه الثقافى . تكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية، عن طريق مؤسسات التنشئة المتعددة بالمجتمع بداية بالأسرة، ثم المدرسة، ثم المجتمع بعد ذلك بكل ما فيه من أقران ورفاق ودور عبادة، ووسائل إعلام مسموعة (الراديو) أو مقروءة الكتب والصحف والمجلات التى يسعى إلى تحقيقها. أو مرئية التليفزيون والسينما والمسرح.. وهى فى النهاية بمثابة محددات للسلوك البشرى وصولا به إلى أهدافه.

ولما كانت القيم عبارة عن معايير سلوك، أو قواعد وأحكام عقلية وانفعالية نحو أشخاص أو أشياء أو معانى أو نشاطات مختلفة، فهى بالتالى ليست مستقلة عن الأشياء والمعانى والأشخاص والأنشطة، وإنما هى خصائص وصفات تميزها عن غيرها فى مواقف معينة، وهذا يعنى أن القيم أحكام يصدرها الإنسان على الأشياء، وتصدر هذه الأحكام من واقع تأثير الإنسان فى هذه الأشياء، وتأثره بها، ومن واقع خبراته فى مواقف حياتية متعددة.(١)

تتعدد القيم، وكذلك تتعدد مجالاتها، حتى تشمل جميع جوانب النشاط الإنسانى، بلا استثناء، ولكنها مع تعددها وتعدد مجالاتها تهدف فى نهاية الأمر إلى تحقيق التوازن للفرد والمجتمع من خلال الوصول إلى الغايات والأهداف المنشودة.

ومن القيم التربوية التى عنى بها الإسلام، القيم الخلقية والتى تعد جزءاً من ثقافة المجتمع المسلم وضوابط لسلوكه وتصرفاته، وفى ضوء هذه القيم، وتلك المعايير التى تميز بها المجتمع المسلم . وكانت أساسا لميراثه الثقافى . تعايش المجتمع المسلم وضبطت كافة أنشطته وحددت الجماعة والأفراد وميزت الحسن والسيء، الفاسد والصالح، النافع وغير النافع، وأصبحت هى حياة الجماعة وبالتالى تشكلت الجماعة الإسلامية المتميزة طبقاً لقيمها ومعاييرها المتميزة.(٢)

---

(١) دكتور عبدالجواد السيد بكر: فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف . سلسلة مكتبة التربية الإسلامية . الكتاب الخامس . دار الفكر العربى . القاهرة . ١٩٨٣م، ص٨٢.

(٢) دكتور على خليل مصطفى أبوالعينين: القيم الإسلامية والتربية . مرجع سابق، ص٥١.

إن لكل نوع من القيم دور فى حياة الفرد والجماعة يظهر هذا واضحاً فى مجال القيم الخلقية . عامة . التى تعمل على تماسك المجتمع وسعادته والابتعاد به عن الفوضى الاجتماعية، والتزامه بالانضباط، كما يظهر كذلك فى مجال القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية والتى تعمل على أمن المجتمع المسلم وأمانه، والتزامه بكل معانى العفة والطهارة والنظافة الظاهرة والباطنة والاستقامة من خلال بعض القيم المتعلقة بها، مثل حسن الخلق بين الزوجين من خلال المعاشرة الزوجية والوفاء بالحقوق والواجبات فى بيت الزوجية، الأمر الذى ينعكس أثره على حياة الأسرة واستمرارها واستقرارها، وبدوره ينعكس على الأطفال الصغار منهم والكبار من خلال التربية الصالحة داخل الأسرة.

ومن القيم الخلقية المتصلة بالتربية الجنسية، قيمة الحياء والذى هو مفتاح كل خير وهو المانع من فعل القبائح، فمن لم يكن لديه حياء انهمك فى كل فحشاء ومنكر.. والحياء باعتباره قيمة من القيم المتعلقة بالتربية الجنسية علامة من علامات إيمان الفرد والجماعة.

ومن القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية قيمة الاستئذان، وأيضاً قيمة غض البصر.. وقد جاءت فى السنة النبوية واضحة ودلت عليها أحاديث نبوية كثيرة، نذكرها فى حينها.

وللقيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية عدة وظائف على مستوى الفرد المسلم وأيضاً على مستوى المجتمع الذى ينتمى إليه.

(أ) على المستوى الفردى

١ ـ تعمل على ضبط الفرد لشهواته ومطامعه كى لا تتغلب على عقله ووجدانه، لأنها تضبط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف فى ضوئها.[١]

٢ ـ تعمل على أمن الفرد وسلامة إيمانه، باجتنابه الفحش فى القول أو الفعل.

٣ ـ تقى الشاب المسلم من الإثم والقلق، والاستغراق فى أحلام اليقظة الناتجة عن الانحراف الجنسى.

٤ ـ تعمل على تكوين اتجاهات سليمة نحو الأمور الجنسية المتعلقة بالتربية الجنسية.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٦.

(ب) على المستوى الاجتماعى

١ ـ تقى المجتمع المسلم من الفواحش والمنكرات والشهوات.

٢ ـ تحفظ على المجتمع قوته وتماسكه، وطهارته وعفته.

٣ ـ تعمل على حفظ الأنساب، والعلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المسلم.

٤ ـ تقوى العلاقات والأواصر بين الأفراد داخل المجتمع الواحد.

٥ ـ تقى المجتمع من الفوضى الجنسية غير المسئولة.

إن القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية تكتسب أهمية كبرى إذا كان مصدرها القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، باعتبارهما مصدرى التشريع الإسلامى، وبالتالى ترتكز التربية الإسلامية عليهما أول ما ترتكز وتعمل فى ضوئهما.

ويتم اكتساب القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية من خلال السنة النبوية للشباب عن طريق المؤسسات الاجتماعية فى المجتمع المسلم، إذ لا يتم تكوين هذه القيم بصورة آلية، وإنما فى سياق التربية عن طريق المواقف المربية المختلفة وفى سياق إعادة بناء طرق الأداء والاستجابات السوية فى هذا الموقف أو ذاك.[١]

إن التنشئة الاجتماعية الصحيحة المبنية على التصورات الإسلامية السوية هى السبيل إلى اكتساب القيم الخلقية فى التربية الجنسية للسنة النبوية.. وإذا كانت الأسرة مسئولة عن ذلك باعتبارها المحض الأول للإنسان، منذ نعومة أظفاره، وحتى نهاية عمره، فإن المدرسة تأتى فى المقام الثانى بعد الأسرة إذ تتحدد وظيفتها فى أنها توجه المعرفة من أجل أغراض اجتماعية وثقافية ودينية.

ومن خلال المدرسة يأتى دور المعلم المسلم ومسئوليته تجاه تلاميذه فى غرس القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية وذلك من خلال المقررات الدراسية والمواقف التربوية إنه «يحتل مكان الصدارة.. ومن جوانب التعليم الهامة أنه تأثير إنسان فى إنسان..

---

(١) الدكتور محمد الهادى عفيفى: فى أصول التربية (الأصول الفلسفية للتربية) مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٧٨، ص٣٢٨.

فإختيار الطريقة، وتوجيه المعرفة، وإبراز القيم، ومعالجة الظروف الموضوعية والقوى المختلفة المؤثرة فى تشكيل اتجاهات التلاميذ.. كلها وغيرها مرهونة بنظرة المدرس فى تنمية القيم الخلقية كأساس لتنمية الاتجاهات العقلية والاجتماعية عند التلاميذ.(١)

●●●

أهمية الدراسة

تظهر أهمية دراسة التربية الجنسية فى أنها تحاول إلقاء الضوء على بعض القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية، ومن خلالها يتم تحديد الأهداف التربوية المتعلقة بها والتى تسهم فى إيجادها المؤسسات الاجتماعية التى تسهم بدورها فى العملية التربوية ومنها على سبيل المثال:

١ ـ الأسرة.

٢ ـ المدرسة.

إن أهمية دراسة التربية الجنسية ترجع إلى أن بعض الشباب يسترشدون بالأهل أو الأقارب أو الأصدقاء والمعارف فى الأمور المتعلقة «بالجنس، والزواج» وغالباً ما تكون إرشاداتهم ومعلوماتهم غير سليمة، وقد تكون لبعضهم أغراض شخصية أو مفاهيم خاطئة ناتجة عن التمسك بعادات وتقاليد واهية وتكون بعيدة عن الدين الإسلامى وتعاليمه.. وهنا يرجع أهمية هذه الدراسة فى كون المدرسة، وينوب عنها المعلم المسلم الكفء هو الذى يستطيع توصيل الخبرة العلمية والمفاهيم الصحيحة، والقيم الخلقية للتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة وذلك من خلال ما يتعرض له بالشرح والدراسة لعدد من المقررات الدراسية.

إن نقص التربية الجنسية لدى الشباب فيما يتعلق بالبلوغ والمراهقة والزواج، والطهارة.. والاغتسال.. وغيرها ، يمكن أن تتكون معه أفكار خاطئة أو مبالغ فيها أو خرافية يمكن أن تتسرب إلى الشباب فتؤثر فى تكوينه الثقافى.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٢٨.

إن التربية الجنسية التى يجب أن يتربى عليها الشباب المسلم لا تقدم من مصادرها الآمنة المسئولة فى الأسرة فى أغلب الأحيان، الأمر الذى يكون معه فرصة للأدعياء من غير أهل العلم والثقة والضمير والأخلاق النبيلة.. أن يسمموا عقول الشباب المسلم.. وهذا الأمر يلقى كثير من المسئولية على عاتق المعلم المسلم حين يقوم بهذه المهمة التى يغفل عنها كثير من الآباء والمعلمين.

إن التربية الجنسية القائمة على القيم الخلقية، هى وظيفة من وظائف المجتمع، المسلم يقوم بها كل من الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام وكل من يهمه أمر التنشئة الاجتماعية، وبالتالى تكون التربية الجنسية ضمن عملية التربية والتنشئة الاجتماعية بصفة عامة فيعرف الأطفال ما يناسب أعمارهم واستفساراتهم عن الحياة الزوجية، ويعرف الشباب كل ما يجب وما يود معرفته من حقائق الحياة الزوجية ومطالبها وأصول عملية اختيار الزوج وأصول المعاملة الزوجية فى كافة نواحى الحياة الأسرية.(١)

كما ترجع أهمية دراسة التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة إلى أن كثيراً من الشباب فى حاجة إلى التزود بالمعلومات الصحيحة عن ماهية النشاط الجنسى، واستخدام الألفاظ العلمية المتصلة بأعضاء التناسل والسلوك الجنسى واكتساب التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية الخاصة بالسلوك الجنسى...».(٢)

أهداف دراسة التربية الجنسية

تتحدد أهداف دراسة التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة، فى الأهداف التالية:

١ ـ إلقاء الضوء على بعض القيم الخلقية المتصلة بالتربية الجنسية فى السنة المحمدية، من مصادرها الصحيحة من خلال أقوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أفعاله أو تقريره.

---

(١) دكتور حامد عبدالسلام زهران: التوجيه والإرشاد النفسى ـ الطبعة الثالثة، عالم الكتب ـ القاهرة، ص٤٠١.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠١.

٢ ـ إبراز دور القيم الخلقية المتصلة بالتربية الجنسية فى الحفاظ على طهارة المجتمع المسلم ونقائه.

٣ ـ وقاية الشباب المسلم من أخطار المفاهيم والمصطلحات والتعبيرات الخاطئة المتعلقة بالتربية الجنسية، وذلك لما تجره على الفرد والمجتمع من أمراض عدم المناعة (كالإيدز).

٤ ـ تكوين اتجاهات سليمة ونظيفة نحو الأمور المتعلقة بالأفكار والمفاهيم والسلوك الجنسى الشباب المسلم الباحث عن العفة.

٥ ـ الحث على إقامة مجتمع مسلم قوى البنيان، طاهر الأركان وذلك من خلال تكوين أسر مسلمة وذلك بالترغيب فى الزواج والترهيب من التبتل أو الزهد فى الزواج.

٦ ـ تنمية الوازع الدينى والضمير الخلقى الحى المرتبط بالإيمان الصحيح الأمر الذى يأخذ بيد الشباب نحو الاستقامة والفضيلة وينأى بهم عن السلوك الجنسى الخاطىء، غير المسئول، والذى يعرضه لغضب الله وعذابه فى الدنيا والآخرة.

مشكلة دراسة التربية الجنسية
فى ظلال السنة النبوية المطهرة

تتحدد مشكلة هذه الدراسة من خلال الأسئلة الآتية:

٢ ـ ما طبيعة العلاقة القائمة بين القيم الخلقية والتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة؟

٣ ـ ما القيم الخلقية الموجبة المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة؟

٤ ـ ما القيم الخلقية السالبة المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة؟

١ ـ ما الأهداف التربوية للقيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة؟

٥ ـ ما دور الوسائط التربوية فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية؟

٦ ـ ما مجالات القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية؟

المنهج المتبع فى دراسة التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة

تقوم الدراسة الحالية على المنهج التحليلى بغرض الوقوف على أهمية القيم الخلقية وعلاقتها بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة وأنواع هذه القيم (موجبة وسالبة) وذلك بهدف الإجابة على ما طرحته هذه الدراسة من تساؤلات.. مستنداً فى ذلك على تحليل الأحاديث النبوية المطهرة، الصحيحة.. واستخراج ما يتعلق بالدراسة.

وتسير الدراسة على النحو التالى:

١ ـ القراءة الفاحصة للأحاديث النبوية المطهرة، وذلك بهدف التعرف على الأحاديث التى تستشف فيها التربية الجنسية.

٢ ـ رصد الأحاديث النبوية المطهرة المتعلقة بالتربية الجنسية وذلك بهدف تحديد مضامينها التربوية.

٣ ـ القراءة المتأنية للأحاديث النبوية المطهرة بهدف تحليلها تحليلاً مبدئياً.

٤ ـ تحليل الأحاديث النبوية المطهرة التى تم رصدها وقراءتها وذلك بهدف استخلاص المضامين التربوية الجنسية.

٥ ـ استنتاج الآثار التربوية الناتجة عن تحليل الأحاديث النبوية، المتضمنة للتربية الجنسية، وذلك بهدف لفت أنظار الشباب المسلم إليها، للتعرف عليها، والاستفادة منها فى حياتهم المستقبلية.

●●●

مصطلحات هذه الدراسة

تتعرض هذه الدراسة لعدد من المصطلحات التى تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها، وبيان مدلولاتها، وهى كالتالى:

١ - ماذا يقصد بالتربية الجنسية؟

يقصد بالتربية الجنسية Sex Education كما تقول رويده محيى الدين برجاوى: أنها مجموعة العمليات التى تتبناها جماعة ما، بهدف توفير المعلومات الصحيحة، ونقل نتائج الخبرة الصالحة للفرد، والتى تؤهله لحسن التكيف مع القضايا والأمور المتعلقة بالنشاط الجنسى.(١)

كما تعرف التربية الجنسية بأنها: ذلك النوع من التربية الذى يساعد الفرد على مواجهة مشاكله الجنسية، مواجهة واقعية، وأن يطلع على تطورات الحياة الجنسية عند الحيوان والإنسان بطريقة علمية صحيحة. على قدر ما يسمح به نموه العقلى والجنسى فى ضوء معايير المجتمع.

ويعرفها الدكتور حامد زهران بقوله: إن التربية الجنسية هى ذلك النوع من التربية التى تمد الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصالحة، والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية، بقدر ما يسمح به نموه الجسمى والفسيولوجى والعقلى والانفعالى والاجتماعى، وفى إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية السائدة فى المجتمع، مما يؤهله لحسن التوافق فى المواقف الجنسية، ومواجهة مشكلاته الجنسية فى الحاضر والمستقبل، مواجهة واقعية تؤدى إلى الصحة النفسية.(٢)

أما عبدالله ناصح علوان، فيعرف التربية الجنسية بأنها: تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التى تتعلق بالجنس، وترتبط بالغريزة وتتصل بالزواج..

---

(١) رويده محى الدين برجاوى: المنهج الإسلامى فى التربية الجنسية. دار الفصون. بيروت. لبنان. ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٤٢.

(٢) دكتور حامد عبدالسلام زهران: علم نفس النمو (الطفولة والمراهقة). الطبعة الخامسة. عالم الكتب. القاهرة. ١٩٩٠م، ص٤٤١.

حتى إذا شب الولد وترعرع، وتفهم أمور الحياة، عرف ما يحل، وعرف ما يحرم، وأصبح السلوك الإسلامى المتميز خلقا له وعادة فلا يجرى وراء شهوة ولا يتخبط فى طريق تحلل أو انحراف.[١]

ويعرفها الدكتور عبدالعزيز القوصى بقوله: يقصد بالتربية الجنسية إعطاء الطفل الخبرة الصالحة التى تؤهله لحسن التكيف فى المواقف الجنسية فى مستقبل حياته وحاضره، اعتماداً على التعليم والإيحاء والتوجيه ممن يهمهم أمر الطفل.[٢]

أما «سيرل بيبى فتعرف التربية الجنسية بأنها سائر التدابير التربوية التى يمكن أن تعين الشاب بكيفية ما على التهيؤ لمواجهة مشكلات الحياة، تلك المشكلات التى تتمركز حول الغريزة الجنسية، ثم تعرض بعد ذلك بشكل ما فى خبرة كل إنسان عادى.[٣]

بينما يعرف الدكتور خليل ميخائيل معوض التربية الجنسية بأنها «نوع من التربية يتيح إمداد الفرد بمعلومات صادقة وصريحة وسليمة، وتكوين شعور واتجاهات سليمة تجاه الجنس، بما يتوافق مع النمو الجنسى والفسيولوجى والعقلى والانفعالى والاجتماعى للفرد فى إطار المعايير الأخلاقية والدينية والاجتماعية السائدة فى المجتمع.[٤]

والتربية الجنسية، بمن خلال التعريف السابق تتيح للطفل الفرصة كى يحصل على خبرات تؤهله للتكيف فى المواقف الجنسية فى مستقبل حياته، وبمعنى آخر إعداد الأولاد ذكوراً وإناثاً ليكونوا أفضل رجال وأفضل سيدات وأفضل أزواج وأفضل زوجات، وأفضل آباء وأفضل أمهات فى مستقبلهم.[٥]

---

(١) عبدالله ناصح علوان: تربية الأولاد فى الإسلام ـ الجزء الثانى ـ الطبعة العشرون ـ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ حلب ـ بيروت ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، ص٤٩٩.

(٢) دكتور عبدالعزيز القوصى: أسس الصحة النفسية ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٩م، ص٣٩٤.

(٣) سيرل بيبى: التربية الجنسية (ترجمة الدكتور محمد رفعت رمضان والدكتور نجيب إسكندر إبراهيم ـ مراجعة الدكتور إسحق رمزى ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٢، ص٩.

(٤) دكتور خليل ميخائيل عوض: سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة) ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر الجامعى ـ الإسكندرية ـ ١٩٨٣م، ص٣٢٩.

(٥) المرجع السابق، ص٣٢٩.

٢ ـ ما المقصود بالسنة النبوية المطهرة؟

السنة ـ بصفة عامة ـ مفهوم يعنى الطريقة، أو السيرة، حميدة كانت أو ذميمة، كما يقول علماء اللغة وذلك مأخوذ من قول رسول الله ـ ﷺ : «من سن فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»[1] أخرجه مسلم.

ومن سياق الحديث يتضح لنا أن كل من فتح طريقا أدى بالمسلمين إلى أن يفعلوا سنة وجاء بها الدين فله أجرها وأجر من عمل بها دون أن ينقص ذلك من أجره، ومن فتح طريقا أدى بالمسلمين أن يفعلوا سنة لم يرد بها الدين، فله وزرها ووزر من عمل بها، دون أن ينقص ذلك من وزن من عمل بها إلى يوم القيامة.

والسنة تعنى الطريقة، وذلك تصديق لما ورد من حديث رسول الله ـ ﷺ : «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع..» أخرجه البخارى ومسلم.

ويعنى مفهوم السنة فى الشرع بأنها العمل المحمود فى الدين، مما ليس فرضاً ولا واجباً، جمع السنة: سنن.[2]

والسنة فى اصطلاح المحدثين تعنى كل ما أثر عن النبى ـ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو سيرة، سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها[3]، وهى بهذا ترادف الحديث عندهم، وهى فى اصطلاح الأصوليين تعنى ما نقل عن النبى ـ ﷺ من فعل أو قول أو تقرير.

فالسنة القولية هى: كل ما تحدث به النبى ـ ﷺ ، فى مختلف المناسبات، مما يتعلق بتشريع الأحكام، كقوله ـ ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات..» رواه البخارى. أما السنة الفعلية:

---

(١) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب الزكاة ـ الحديث رقم ٥٣٣، ص١٤٦.

(٢) مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز: جمهورية مصر العربية (طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم)، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٩٤م، ص٣٢٥.

(٣) عزالدين بليق: منهاج الصالحين ـ من أحاديث سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ دار الفتح للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م، ص١٤.

فهى كل ما نقله الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ من أفعال الرسول ـ ﷺ ـ فيما يخص العبادات وغيرها، كأداء الصلوات، حيث قال عن الصلاة: «صلوا كما رأيتمونى أصلى..» وعن مناسك الحج، حيث قال: «خذوا عنى مناسككم».

وأيضاً آداب الصيام، وغيرها...

أما السنة التقريرية، فهى كل ما أقره النبى ـ ﷺ ـ من أفعال صدرت عن بعض الصحابة، بسكوت منه ـ ﷺ ـ مع دلالة الرضى، أو بإظهار استحسان وتأييد.[1]

وخلاصة القول: إن السنة فى الاصطلاح عند أهل الحديث هى كل: «ما صدر عن النبى ـ ﷺ ، من غير القرآن».[2]

٣ ـ التربية الجنسية فى السنة النبوية

لم تبالغ السنة النبوية فى نظرتها إلى الجنس، ولذا لم ترفع من قدره كما أنها لم تحقر من شأنه، بل نظرت إليه نظرة تتفق مع النظرة الإنسانية ولا تتعارض مع التصور الإسلامى. فقد رأت السنة النبوية أن الرغبات أو الحاجات البشرية لا سبيل لمعارضتها أو مخالفتها والوقوف فى طريقها بفرض منعها أو كبتها، إذ فى الإمكان ضبطها وتعديل مسارها، والتخفيف من غلوائها دون إسراف أو إسفاف، ودون إفراط أو تفريط، ولا يتم ذلك إلا عن طريق التربية الجنسية، إنطلاقاً من بدهية مؤداها أنه ليس فى الأرض شريعة ولا نظام يعترف بالجنس نظيفاً، كريماً، مقدساً، كالإسلام، يكفى أن نذكر أن المسلم وهو يأتى زوجه يذكر اسم الله الكريم، وليس فى الإسلام أقدس من ذكر الله، ولا أنظف مما يقرأ اسم الله عليه[3] وهذا يبين لنا تقدير الإسلام للجنس والتربية الجنسية.

وتعد التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية، جزءً من التربية الإسلامية بصفة عامة، ومن التربية الجسمية على وجه الخصوص، وفى كل حالاتها تتداخل فى المنهج الإسلامى مع التربية بوجه عام، كما أنها لا تخرج عن الطريقة التى يسعى المسلم إلى

---

(١) المرجع السابق، ص١٤.

(٢) ابن حجر: هدى السارى ـ مقدمة فتح البارى ـ تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض ـ الجزء الأول، ص٥ ـ

(٣) محمد قطب: قبسات من الرسول ـ الطبعة الثانية ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة، ص١٠٧.

الإلتزام بها واتباعها، بغية الوصول إلى مرضاة الله تعالى، عن طريق تأكيد إسلامه العملى التطبيقى وليس النظرى فقط.

وإن الطفل المسلم يتلقى التربية عن طريق الوالدين والمدرسة والمسجد وجماعة الرفاق ووسائل الاعلام.. وغيرها وذلك من خلال العبادات والمعاملات والأخلاقيات الإسلامية.. ومنذ نعومة أظفار الوليد البشرى وإلى آخر حياته وهو يتربى، بحسب أطوار نموه ومراحل تكوينه، منذ الطفولة المبكرة مروراً بالطفولة الوسطى فالمتأخرة، فالمراهقة فالشباب ثم الشيخوخة.. كل ذلك فى إطار القيم الإسلامية الصحيحة، والتعاليم السماوية السمحة، والضوابط والمعايير الاجتماعية السائدة، والعادات والتقاليد. والغرض من ذلك كله أن يكون مسلحاً بقيم ومعلومات ومعطيات وخبرات ومواقف تساعده على التعايش والتفاعل مع البيئة التى يعيش فيها.

وما ينطبق على التربية عامة ينطبق على التربية الجنسية بخاصة، إذ يتساءل الطفل عن أمور معينة وكذا المراهق يتساءل عن أمور، والبالغ يتساءل عن أمور.. وكل هذه الأمور يكون الجنس فيها هو القاسم المشترك.. لكن البالغ - على وجه الدقة - يجد نفسه مدفوعاً إلى السؤال عن الجنس. وإذا لم يسأل عن ذلك فهو فى هذه الحالة بين أحد أمرين، إما أن يكون ضعيفاً أو شاذاً، وإما أن يقتنع بأجوبة أصحابه ورفاقه عن أسئلته، ولسوف يجد كل والد نفسه مضطراً فى يوم من الأيام لمواجهة مشكلة التربية الجنسية، حين توجه إليه بعض الأسئلة من أولاذه الصغار.(١)

إن للتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية آثارها البناءة فى تكوين شخصية الشباب المسلم، فهى تؤهلهم لحسن التوافق فى المواقف الجنسية الحاضرة والمستقبلية، وذلك إذا تمت عن طريق الأسرة (الوالدين) والمدرسة من خلال (الفقه الإسلامى - العلوم) والمسجد (عن طريق الإمام) وعن طريق التوعية والتوجيه والإرشاد المستمر والصحيح.

---

(١) محمود مهدى الاستانبولى: التربية الجنسية ماذا ينبغى للمراهقين معرفته عن الجنس؟ - المكتب الإسلامى - الطبعة الرابعة - ١٤٠٤هـ - ص١٠، ١١.

كما أن الجنس في ظلال السنة النبوية ليس معناه شهوة الحيوان الجائع الذى لا يملك نفسه أن يندفع هائجاً إلى التنفيذ، كما أنه ليس غلظة الشبق الذى تتلمظ على متاع لذيذ، وليس نزوة الجسد الفائر التى تخنق فى بخارها الوخم عاطفة القلب وإشراقة الروح»[1] إن الأمر ليس كذلك.

بل إن التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية هى دعوة للترفع والتسامى بالغريزة الجنسية Mating Instinct، والتى تستهدف «الاتصال الجنسى المؤدى إلى التكاثر، وتظهر فى الإنسان مكتملة النمو فى مرحلة المراهقة»[2]. إنها دعوة للتهذيب، إذ ينظر إلى الجنس فى حدوده المشروعة، ولا يكون مستباحاً أو نهياً، أو لذة محرمة.

وتذكر السيرة النبوية أن رسول الله - ﷺ - أخذ من هذا المباح بقسط كامل لا شبهة فيه، كما استمتع - ﷺ - بكل ما يحل للمسلم أن يستمتع به فى هذه الحياة، وهو فى كل مواقفه، وتواجده، القدوة الحسنة والأسوة الطيبة والنموذج الذى يجب أن يتأسى به المسلم، ويشرف أن يسير على نهجه ومنواله.

وعلى هذا فإن المسلم مطالب - بالضرورة - بأن يقتفى أثر رسول الله - ﷺ - المعلم، والقدوة، لقول الله تعالى: «لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر».[3]

ولأن الرسول - ﷺ - هو المبلغ عن الله، وهو الصادق الأمين، المبعوث رحمة للعالمين والذى قال فيه ربه: «وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى»[4] لذلك وجب اتباعه والعمل بهديه والاقتداء به - ﷺ - إذ أن طاعته واتباعه، هى طاعة لله ومرضاة له سبحانه لقوله تعالى: «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا».[5]

---

(١) محمد قطب: قبسات من الرسول - مرجع سابق، ص١٠٨.

(٢) دكتور محمد سمير حسانين: التربية، أصول وأساسيات (الأصول الفلسفية والنفسية) - مؤسسة سعيد بطنطا ١٩٧٨، ص٢٣٧.

(٣) قرآن كريم: سورة الأحزاب، الآية رقم ٢١.

(٤) قرآن كريم: سورة النجم، الآيتان ٣، ٤.

(٥) قرآن كريم: سورة الحشر، الآية ٧.

وقوله تعالى: «من يطع الرسول فقد أطاع الله».(١)

وان طريقه ﷺ هو الطريق الأمثل والأصوب، إنه الطريق المستقيم الهادى إلى الله:

قال تعالى: «وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله».(٢)

ومما يدل على أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو القدوة والأسوة الحسنة، ما ترويه السيرة النبوية أن رسول الله ـ ﷺ ـ «كان يغطى وجه زوجته حين يضاجعها فى الفراش.. وقد روى من حديث أم سلمة أن الرسول ـ ﷺ ـ كان يغطى رأسه ويغض صوته ويقول لامرأته: عليك بالسكينة..».(٣)

وهكذا يتبين أن الجنس فى السنة النبوية معترف به، لكنه ليس هدفا أو غاية لذاته، وليس لذة وقتية، كما هو الحال فى الفلسفات الغربية، وإنما هو وسيلة لتكوين أسرة مسلمة، مسلحة بالمبادىء والقيم الإسلامية والتربوية، والمعلومات والخبرات النظيفة التى تخص مجال الغريزة الجنسية، والزواج ومقدماته، ومتعلقاته.

●●●

منطلقات هذه الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من عدة أمور منها ما يلى:

١ ـ التربية الجنسية نوع من أنواع التربية، المتصلة بالجانب الجسمى، والتى بدورها تعد جزءً من أجزائه، وجانبا من جوانب التربية الإسلامية.

٢ ـ التربية الجنسية نوع من التربية تقدم للفرد منذ أن يعقل القضايا المتعلقة بالجنس، وبدورها تتمركز حول الغريزة الجنسية، والزواج.

٣ ـ تحدد الفترة التى يتعلم فيها الفرد، أو يتم توعيته وتوجيهه وإرشاده للأمور الجنسية، بقدر ما يسمح به نموه جسميا وفسيولوجيا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا.

(١) قرآن كريم: سورة النساء الآية ٨.

(٢) قرآن كريم: سورة الشورى الآيتان ٥٢، ٥٣.

(٣) محمد قطب: قبسات من الرسول ـ مرجع سابق، ص١٠٨.

٤ ـ المعلومات التى تعطى للفرد فى مجال التربية الجنسية، معلومات علمية صحيحة. وهى ناتجة عن اتجاهات سليمة، وخبرات صالحة.

٥ ـ يقوم بالتربية الجنسية الوالدان والمربون، وعلماء النفس والأطباء وعلماء الدين.

٦ ـ تعطى المعلومات الخاصة بالتربية الجنسية للفرد عن طريق التصريح أو عن طريق التلميح، أى من خلال التعليم والإيحاءات والتوجيهات.

٧ ـ يحكم التربية الجنسية معايير أخلاقية وضوابط، وتعاليم دينية، وقيم اجتماعية.

٨ ـ تساهم المدارس والجامعات ومعاهد العلم ـ من خلال المقررات الدراسية ـ العلمية (العلوم ـ الأحياء) والدينية (مادة التفسير ومادة الحديث النبوى ومادة الفقه الإسلامى) فى توضيح المفاهيم والمضامين المتعلقة بالتربية الجنسية.

٩ ـ التربية الجنسية ليست هدفاً فى ذاتها، ولكنها وسيلة لغاية أكبر، وأثمن. تنحصر فى قدرة الفرد على التكيف فى المواقف المستقبلية، التى تواجهه، والتى تتعلق ببعض القضايا الجنسية.

١٠ ـ تهدف التربية الجنسية إلى تكيف الشباب وتوافقه فى الحاضر والمستقبل. إذا ما واجهته مشكلات جنسية، وذلك يؤدى فى النهاية إلى تحقيق الصحة النفسية للشباب.

١١ ـ التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية تقوم على بدهية مؤداها أن الجنس بجميع أصوله ومستوياته، حقيقة عميقة فى حياة البشر، بل فى كل كيان الحياة.

١٢ ـ السنة النبوية المطهرة تقر وتعترف بالجنس ولا تستقذره.

١٣ ـ التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية مصدرها إلهى.

١٤ ـ التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية عبادة وطاعة لله.

●●●

خطة الدراسة

الفصل الأول: القيم الخلقية للتربية الجنسية في ظلال السنة النبوية

أولا: القيم الخلقية الموجبة

١ ـ حسن الخلق.

٢ ـ حسن القوامة.

٣ ـ حسن التبعل.

٤ ـ الحياء.

٥ ـ الاستئذان.

٦ ـ غض البصر

- إباحة النظر فى حدود المصلحة الراجحة.
- غض البصر من حق الطريق.
- غض البصر دعوة للرجال والنساء.
- فوائد غض البصر.

٧ ـ حفظ السر.

ثانيا: القيم السالبة

١ ـ سوء الأخلاق.

٢ ـ الاتصال الجنسى المحرم:

(أ) إتيان الزوجة فى الدبر.

(ب) إتيان الحائض.

(ج) الغيلة.

(د) ـ العزل.

٣ ـ النكاح المحرم:

(أ) نكاح المتعة.

(ب) نكاح الشغار.

(ج) النكاح بنية التحليل.

(د) نكاح الاستبضاع.

(هـ) الزنا.

الفصل الثانى: التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة

أولاً: دور الوسائط التربوية فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة.

١ ـ دور الأسرة فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية.

٢ ـ دور المدرسة فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية.

ثانيا: مجالات القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة:

١ ـ مادة تفسير القرآن الكريم.

٢ ـ مادة الحديث النبوى.

٣ ـ مادة الفقه الإسلامى.

ثالثا: الأهداف التربوية للقيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية من خلال السنة النبوية المطهرة.

١ ـ الأهداف التربوية لقيمة الحياء.

٢ ـ غض البصر.

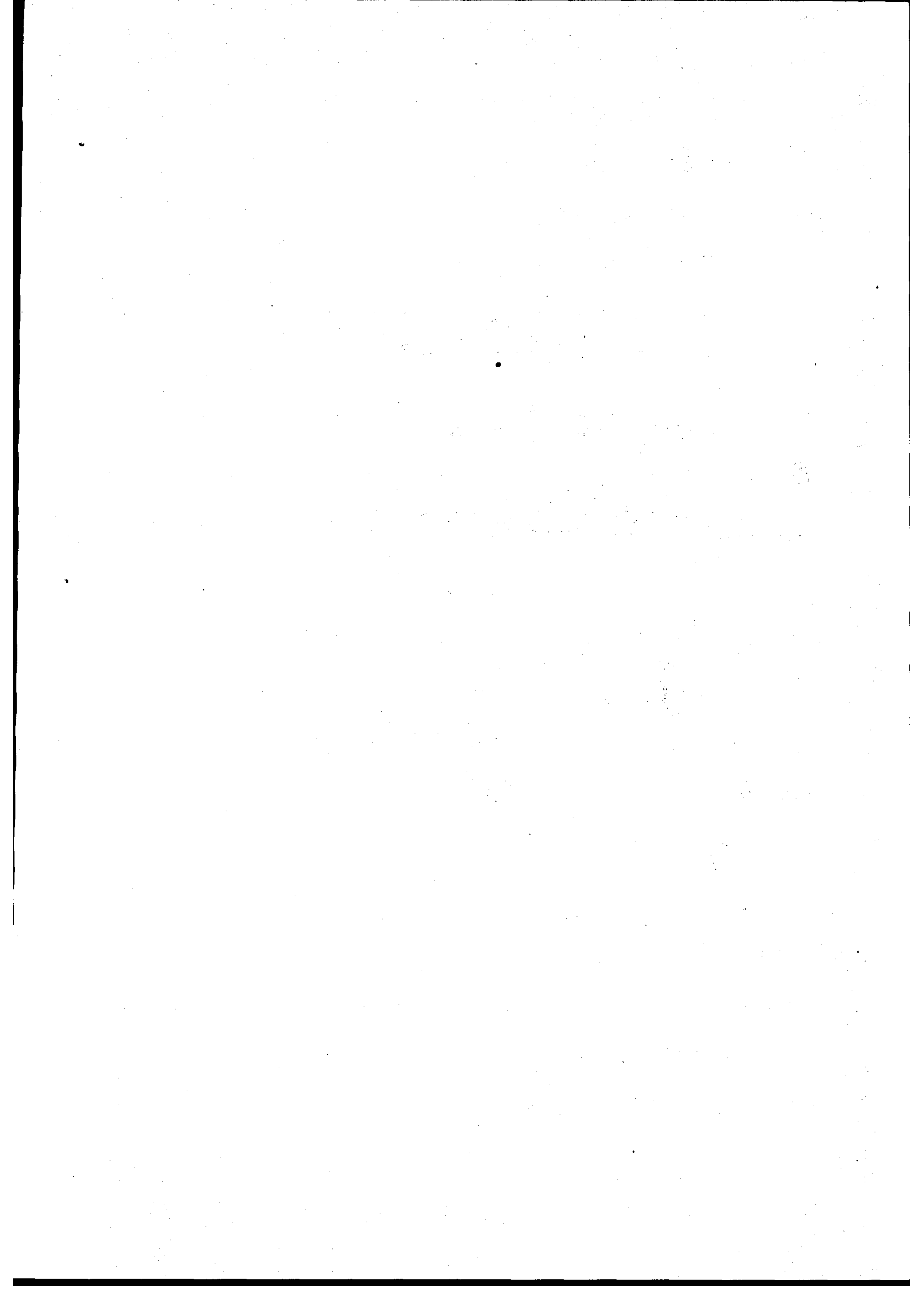
■■■

1

التربية الجنسية

في ظلال السنة النبوية

القيم الخلقية للتربية الجنسية في ظلال السنة النبوية المطهرة



مقدمـــة

اشتملت التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة على عدد من القيم الخلقية. استهدفت وقاية الانسان المسلم - خاصة الشباب - من نزعات الشر. كما استهدفت الحرص على الاستقامة والطهارة التى تميز بها منهج السنة النبوية فى مجال التربية الجنسية، هذه الاستقامة التى أولتها السنة النبوية إهتماماً خاصاً، ودعت إليها بأسلوبها الذى يستهوى الفطرة الإنسانية السليمة، ويؤثر فيها عن طريق مجموعة القيم التربوية التى تتصل «بالمسئولية، والالتزام، وتتصل بكل ميادين الخبرة الإنسانية، وبقدر ما تشتمل هذه القيم على قوانين سلوكية تتصل بالإرادة الإنسانية والاختيار والتصميم ذلك الاختيار القائم على فهم حقيقى للقيم الخلقية التى يترتب عليها السلوك الإنسانى الخير».[1]

وإن تربية الشباب المسلم على المعانى السامية. المبنية على القيم الخلقية تعد هدفا من أهداف التربية فى ظلال السنة النبوية المطهرة، وذلك لأن هذه القيم. هى معايير لضبط سلوك الفرد وتربيته على معانى التقوى لله، والإخلاص له، والثقة به، والتوكل عليه، وغرس الإحساس الدائم برقابة الله، على كل أعمال الإنسان، وإطلاعه على سره ونجواه وتغذية الشعور بالمسئولية أمامه.[2]

(١) دكتور على خليل مصطفى أبوالعينين: القيم الإسلامية والتربية - مرجع سابق، ص٢٢١.

(٢) الدكتور يوسف القرضاوى: الحل الإسلامى فريضة وضرورة - سلسلة الحل الإسلامى رقم (٢) - الطبعة الثالثة - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص٣٨.

وإن الناظر البصير، والمنصف يرى أن جميع القيم التى ذكرتها السنة النبوية المطهرة، قيم أخلاقية، تستهدف تربية المسلم تربية روحية وأخلاقية رفيعة المستوى، والسبب فى ذلك أن مصدرها ربانى، وليس وضعيا، أرضيا، فلسفيا أو إجتماعيا.. وعن طريق التربية النبوية، من خلال هذه القيم الخلقية «تتكون القلوب الحية، والضمائر اليقظة، التى هى أعظم رادع عن الشر، وأكبر حافز على الخير، وأقوى محدد لمكارم الأخلاق».[٢]

ينشأ الشباب ويتربى على القيم الخلقية، فى ظلال السنة النبوية والتى تخص جانب التربية الجنسية، فيزيد احترام الشباب لهذه القيم، ويتم المحافظة عليها واحترامها، وتطبق بإخلاص وأمانة وإتقان، باعتبارها - مع أنها غايات وأهداف سامية فى ذاتها - إلا أنها تعد «من أعظم الوسائل التربوية لتكوين الأنفس المؤمنة، والأخلاق الفاضلة».[٤] التى ينشدها المجتمع الربانى، والذى لا يقوم إلا على تربية ربانية.

إن صلاح المجتمع مرتبط بصلاح أعضائه، الذين هم لبناته وأفراده وبدون وجود أفراد صالحين، لا يمكن تصور قيام مجتمع صالح. فصلاح المجتمع يرتبط بصلاح أفراده، كارتباط التربية الخصبة بالبذور المنتقاه، إن بينهما تلازما لا ينفك.

تتعرض هذه الدراسة لبعض القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة، ومن هذه القيم على سبيل المثال - وليس على سبيل الحصر - ما يلى:

أولا: القيم الخلقية الموجبة

١ - حسن الخلق:

يعرف الخلق لغة بأنه حال للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال، من خير أو شر، من غير حاجة إلى فكر أو روية.. وجمع الخلق: أخلاق.. وكل ما هو أخلاقى هو ما يتفق وقواعد الأخلاق، أو قواعد السلوك المقررة فى المجتمع.. وعكس الأخلاقى.. لا أخلاقى.[٣]

---

(١) المرجع السابق، ص٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٤٠.

(٣) مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز - مادة (خلق).

يأتى الفعل الحسن نتيجة الإيمان الصادق، وتشتمل الأفعال الحسنة على كل معروف وبر، وخير، وكل قول أو عمل ترتقى به الأفراد وأيضاً الجماعات، ويتقرب به إلى الله، فتتحقق للإنسانية مثلها العليا وغاياتها العظمى، ويشعر المحسنون، بطمأنينة النفس وسكينة القلب، ويكون من ثمرة كل هذا الصبر على المكاره، وتحمل الأعباء فى الشدائد، طمعا فى عفو الله ورضاه، ورغبة فيما أعده لعباده ووعدهم به، وخوفا من عقابه وعذابه، وما توعد به من ضل وغوى.

ومفتاح التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية، هو التحلى بمكارم الأخلاق وأساس قيام هذه التربية وقاعدتها، حسن الخلق، وتتجلى هذه القيمة وتستمد من أقوال وأفعال وتقرير الرسول - ﷺ - الذى وصفه ربه سبحانه وتعالى فقال: «وإنك لعلى خلق عظيم».[١]

لقد زكى الله سبحانه وتعالى - خلق نبيه - ﷺ - حتى صار خلقه القرآن، فعن يزيد بن بابنوس قال: «دخلنا على عائشة - رضى الله عنها - فقلنا: «يا أم المؤمنين: ما كان خلق رسول الله - ﷺ ؟ قالت: كان خلقه القرآن. تقرأون سورة المؤمنون؟ قالت: اقرأ: «قد أفلح المؤمنون» قال يزيد فقرأت «قد أفلح المؤمنون - إلى - لفروجهم حافظون (٢٣/ المؤمنون ٥/١) قالت: كان خلق رسول الله - ﷺ ».[٢]

وإن من مظاهر وعلامات حسن خلق الرجل فى بيته، صبره على زوجته، وتحمله أذاها له إن وجد فيها ما يؤذيه - وأن يحسن إليها - مع إساءتها - وأن يشفق عليها - مع حماقتها - إن وجدت. وما ذلك إلا لأن المسلم مطالب بالتحلى بحسن الخلق، وأن حسن الخلق ملكة تبعث النفس على الأفعال الحميدة، واكتساب الخصال النبيلة وبذل كل معروف وبر، والكف عن كل أذى وشر، بالإضافة إلى ذلك فإن للتربية الإسلامية عن طريق القيم الخلقية فى التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة آثارها العظيمة ومردودها على طمأنينة الفرد وطهارته، ونظافة المجتمع المسلم وسلامته من كل الرذائل والقبائح والفواحش، لذلك دعت السنة النبوية المطهرة إلى التمسك بهذه القيم الخلقية كى يعيشها المسلم حياة ومنهجاً.

---

(١) قرآن كريم - سورة القلم - الآية: ٤.

(٢) الإمام البخارى: الأدب المفرد - خرج أحاديثه ووضع حواشيه - محمد عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - باب من دعا الله أن يحسن خلقه - الحديث رقم ٣٠٨، ص١٠٠.

وتحض السنة النبوية الأزواج أن يكونوا أصحاب همم عالية، وأخلاق سامية فى معاملتهم لزوجاتهم، ومعاشرتهم لهن، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم خلقا»[1] إن خصلة من خصال الخير يختلف حال الإيمان - كمالا ونقصا - باختلاقها، لهى خليقة بأن ترغب إليها نفوس المؤمنين، وإن الأهل بمعنى الزوجة هم أحق الناس بالبشر وحسن الخلق..

إن القيم الخلقية الموجبة فى السنة النبوية المطهرة، والتى تخص جانب التربية الجنسية هى التى يتربى عليها الزوج المسلم، فيعيشها واقعاً من أجل حياة سعيدة وسلوكيات رشيدة.. والحديث النبوى يحض على حسن الخلق بصفة عامة حيث إن حسن الخلق من تمام وكمال الإيمان.. وإن الأمر مع الأقربين أولى..

وإن الأقربين فى حاجة ماسة للتعامل معهم والتعايش بينهم بخلق حسن وأولى المقربين للفرد أهله وخاصته زوجته، ومن ثم وجب عليه - تجاهها - بذل الندى - وكف الأذى - وطلاقة الوجه - والصبر والتحمل، ابتغاء مرضاة الله تعالى، ووصولا للسلامة والأمان والاستقرار للأسرة المسلمة. فعن ابن عباس - رضى الله تعالى عنه - عن النبى - ﷺ - أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»[2] وقال - ﷺ : «خياركم خياركم لنسائهم».[3]

هكذا توجه السنة النبوية المطهرة الزوج المسلم إلى حسن الخلق، والتحلى بعظيم الخصال والصفات إذ أن أفضل الناس درجة وأعلاهم منزلة ومكانة وخيراً «وأحقهم

---

(١) أبو عيسى الترمذى: سنن الترمذى - المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - استانبول - تركيا - الجزء الرابع - كتاب الرضاع - باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها - الحديث رقم ١١٦٢، ص١٣٥.
انظر: الإمام النووى: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - تحقيق: محى الدين الجراح - راجعه وأشرف عليه الشيخ محمد على الصابونى - مؤسسة مناهل العرفان - بيروت د-ت الباب الثالث والسبعون - فى حسن الخلق - الحديث رقم ٦٢٧، ص٣٣٨.
انظر: المرجع نفسه - الباب الرابع والثلاثون - فى الوصية - النساء - الحديث رقم ٢٧٩ ص١٧٢.
(٢، ٣) الحافظ القزوينى: سنن ابن ماجه - حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقى - الجزء الأول - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - (كتاب النكاح - باب حسن معاشرة النساء - الحديث رقم ١٩٧٧، ١٩٧٨، ص٦٣٦.

بالاتصاف به هو من كان خير الناس لأهله، فإن الأهل هم الأحق بالبشر، وحسن الخلق. والإحسان، وجلب النفع، ودفع الضر، فإن كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإن كان على العكس من ذلك فهو فى الجانب الآخر من الشر».[١]

فعن أبى هريرة . رضى الله عنه . قال: سئل رسول الله . ﷺ : «ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق» وما أكثر ما يدخل النار؟ قال: «الأجوفان الفم والفرج».[٢]

وقال . ﷺ . فى نفس المعنى: «تدرون ما أكثر ما يدخل النار؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الأجوفان: الفرج والفم» وما أكثر ما يدخل الجنة؟ «تقوى الله وحسن الخلق».[٣]

وقال . ﷺ . «من يتكفل لى ما بين لحييه، وما بين رجليه أتكفل له بالجنة»[٤] وفى رواية: «من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه، دخل الجنة».[٥]

يشير هذا الحديث النبوى الكريم إلى أن أكثر ما يدخل الناس، الأجوفان «الفم» وهو ما أشار إليه فى قوله . ﷺ «ما بين لحييه» و«الفرج» وهو ما أشار إليه صلى الله عليه وسلم فى قوله «ما بين رجليه. وإن تقوى الله تعالى تكمن فى حسن الخلق، بأن يصلح العبد ما بينه وبين خالقه تعالى، ويترجم هذا الصلاح إلى سلوك وفعل مع الأهل أو الزوجة فيكون هذا السلوك ثمرة من ثمرات تقوى الله وخشيته، وعلى قدر الخشية والهيبة، يكون حسن الخلق، ويكون وضوح التصور ونقاء السريرة.

لقد كان رسول الله . ﷺ . المثل البشرى الكامل . أفضل الناس خَلقا وخُلقا، ومظهراً ومخبرا .. كان خلقه القرآن، فقد روى عن أنس . رضى الله تعالى عنه . قال: «كان رسول الله . ﷺ . أحسن الناس خلقا ..».[٦]

---

(١) الإمام الشوكانى: نيل الأوطار، من أحاديث سيد الأخيار . شرح منتقى الأخيار ضبطه وصححه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد سالم هاشم . دار الكتب العلمية . الجزء السادس . ص٢١٨.

(٢) الامام البخارى، الأدب المفرد: باب حسن الخلق، إذا فقهوا، ح٢٩٤، ص٩٦ح/ ٢٨٩، ص٩٤.

(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ٢٨٩ ص٩٤.

(٤) سنن الترمذى . الجزء السابع . باب الزهد . الحديث رقم ٢٤١٠، ص١٢٩، الحديث رقم ٢٤١١، ص١٢٩.

(٥) المرجع السابق، حديث رقم ٢٤١١، ص١٢٩.

(٦) الحافظ المنذرى: مختصر صحيح مسلم . تحقيق: محمد ناصر الدين الألبانى . المكتبة الإسلامية . عمان . مكتبة المعارف . الرياض . الطبعة الثانية . ١٤١٢هـ (كتاب الأدب . باب تكنية الصغير . الحديث رقم ١٤١٤، ص٣٦٨.

وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل».[1]

وروى عن عائشة ـ أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ قالت: «سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[2] «رواه أبو داود».

إن حسن الخلق باعتباره قيمة تربوية، تدعوا إليها السنة النبوية المطهرة وتربى الأزواج عليها، باعتبارها مفتاح السعادة الأسرية، ومدخل السرور والأمن العائلى، كما أن هذه القيمة العظيمة تعد سبباً لمضاعفة الثواب والأجر عند الله تعالى، حتى تصل بالمسلم إلى درجة الصائم الذى يحسن صومه فلا يفطر، والقائم ـ المصلى، المداوم ـ الذى لا يفتر.

وهكذا تتضح قيمة حسن الخلق، وكيف تصل بصاحبها إلى أعلى مكانة وأرفع درجة وذلك لأنها علامة على الخير، ودليل على التقوى والصلاح ومفتاح لكل سعادة ونجاح.

إنها دعوة صريحة واضحة للتحلى بحسن الخلق، من أجل رضاء الله تعالى وبالتالى مضاعفة وتكثير الأجر والثواب، وما ذلك إلا لأن حسن الخلق جماع كل خير، وملتقى كل بر، ومذبة لكل إثم وشر، فلقد روى عن النواس بن سمعان، أن رجلاً سأل رسول الله ـ ﷺ ـ عن البر، والإثم؟، فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس.[3]

من خلال ما مر بنا من أحاديث نبوية تناولت حسن الخلق ـ بصفة عامة ـ فى المجتمع، وبصفة خاصة بين الزوجين المسلمين، يمكن لنا أن نصل إلى نتيجة مؤداها أن المصدر الرئيسى للإلزام الخلقى فى السنة النبوية المطهرة «ليس اللذة، ولا المنفعة، ولا العقل، ولا الضمير، ولا العرف، ولا المجتمع، ولا التطور، ولا غير ذلك مما ذهبت إليه مدارس الفلسفة الخلقية، مثالية وواقعية، وإنما مصدر الإلزام ومقياس الحكم الخلقى ـ فى

---

(١) الامام البخارى، الأدب المفرد ـ باب حسن الخلق إذا فقهوا ـ ح٢٨٤، ص٩٣.

(٢) أنظر: رياض الصالحين ـ الباب الثالث والسبعون ـ فى حسن الخلق ـ الحديث رقم ٦٢٨، ص٣٣٨.

(٣) سنن الترمذى: الجزء السابع ـ كتاب الزهد ـ باب ما جاء فى البر والإثم ـ الحديث رقم ٢٣٩٠، ص١١٩.
ـ الامام البخارى، الأدب المفرد ـ باب طيب النفس ـ الحديث رقم ٣٠٢، ص٩٨.

الأســـاس - هو الوحى الإلهى»[1] وهذا ما يدعونا إلى القول: إن القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة، مصدرها إلهى، لا مجال للتقنين البشرى أو التشريع الوضعى أو المحاولة والخطأ.. إن هذه القيم كضوابط ومعايير مثالية، قابلة للتطبيق البشرى، وليست مثالية كمثالية أفلاطون، إنها مثالية إسلامية، قابلة للتحقيق الفعلى والمجال العملى، لأنها جاءت من الله لصالح الفرد، ولصالح المجتمع فى نفس الوقت واللحظة.. وذلك لأن الله تعالى هو الذى خلق هذا الإنسان، وهو سبحانه الذى حدد له منهج وطريق حياته فى الدنيا والآخرة، وبين له طريق السير فيه من أجل سعادته فى الدنيا ونعيمه المقيم الذى أعده الله له فى الآخرة.

٢ ـ حسن القوامة:

إن قوامة الزوج تعنى المسئولية، وتحمل الأعباء، وتقتضى من الزوج أن يكون صاحب خلق إسلامى رفيع، وهمة عالية، ونفس أبية، وشدة فى غير عنف، ولين فى غير ضعف، وحزم وعزم.. ورجولة فى غير خنوع، وتسامح فى غير خضوع.

إن الرجولة فى الإسلام تعنى شخصية قوية وفى نفس الوقت جذابة، وخلق عال نبيل وتسامح. وإغضاء، وعفو عن الهفوات الصغيرة، ووقوف جاد حازم عند حدود الله، وتطبيق لأحكامه على أفراد الأسرة جميعاً، وقيادة بارعة لبقة نحو الخير، وبذل وسخاء معتدل فى غير سرف ولا تبذير، ونباهة ويقظة وفطنة ووعى وشعور عميق بالمسئولية..».[2]

هذه الصفات والخصال الكريمة النبيلة تحقق حسن قوامة الرجل على زوجته وهى التى يؤكد عليها القرآن الكريم، فى قول الله تعالى: «الرجال قوامون على النساء، بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم».[3]

---

(١) دكتور يوسف القرضاوى: الخصائص العامة للإسلام - الطبعة الثانية - مكتبة وهبة - القاهرة - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص٤٠.

(٢) دكتور محمد على الهاشمى: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة - الطبعة الثالثة - دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص٩٢.

(٣) قرآن كريم - سورة النساء - من الآية ٣٤.

ولما كان من البدهى أن الرجل والمرأة - الزوج والزوجة - مخلوقان لله تعالى، وأن النساء شقائق الرجال، فإن الله تعالى اختص كل واحد منهما بأعباء ومسئوليات، وفق استعداداته - مع مراعاة العدل الإلهى فى التوزيع والاختصاص بحسب الفطرة والاستعدادات المتفردة والمتميزة.. فإن الله تعالى قد زود المرأة بالعطف والرقة والأنوثة وسرعة الانفعال والاستجابة الفورية والعاجلة لمطالب الطفولة.. فإن الله تعالى زود الرجل بالعقل والصلابة والخشونة والرجولة وبطء الانفعال والاستجابة، واستخدام الوعى والتفكير قبل الحركة والاستجابة.(١)

إن وظائف الرجل كلها تقتضى التروى قبل الاقدام.. وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة، وأفضل فى مجالها، كما أن تكليفه بالإنفاق.. يجعله بدوره أولى بالقوامة» قوامة لها أسبابها فى التكوين والاستعداد، إن أى مؤسسة لا تسير بلا قوامة.. وكلما كانت القوامة تمتاز بالحسن والنظافة والجمال كلما دل ذلك على قيام الرجل بوظائفه على خير وجه، يؤديها خير أداء. وتقتضى حسن القوامة من الرجل أن يعاشر زوجته بالمعروف لقول الله تعالى: «وعاشروهن بالمعروف».(٢)

لقد جعل الإسلام «العشرة بالمعروف فريضة على الرجال - حتى فى حالة كراهية الزوج لزوجته، مالم تصبح العشرة متعذرة».(٣)

إن التربية الإسلامية فى القرآن والسنة، وهى تربية واقعية، تتعامل مع الإنسان بما عليه الإنسان، وليس بما ينبغى أن يكون عليه الإنسان، إنها تتعامل مع الإنسان بكيانه وامكاناته، وقدراته، وانفعالاته وتصوراته، وآماله وطموحاته.. بين الصواب والخطأ.. بين الصعود والهبوط، بين الفضيلة والرذيلة.. بين القوة والضعف.. وعلى هذه الواقعية تربى السنة النبوية الشخصية الإنسانية، فتحمل الأزواج تبعة ومسئولية وأمانة التربية والتنشئة والتقويم والإصلاح وحسن القوامة.

---

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن - المجلد الثانى - الطبعة التاسعة - دار الشروق - القاهرة - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٦٥١.

(٢) قرآن كريم - سورة النساء - من الآية ١٩.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن - المجلد الأول - الطبعة التاسعة - دار الشروق - القاهرة - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٦٠٥.

ولقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نافع عن ابن عمر عن النبى - ﷺ أنه قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذى على الناس راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهى مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».[١]

وجاء عن قتادة عن أنس عن النبى - ﷺ : «أن الله سائل كل راع عما استرعاه»[٢] أخرجه النسائى، وابن حبان فى صحيحه بزيادة: «أحفظ ذلك أم ضيعه، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته».

ومن حسن القوامة - باعتبارها قيمة من قيم التربية الخلقية فى مجال التربية الجنسية - فى السنة النبوية - أن يطعم الرجل زوجته ويكسوها ويؤدبها، فعن معاوية ابن صدة - رضى الله عنه - قال: «قلت يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا فى البيت»[٣] حديث حسن - رواه أبو داود، وقال معنى: «لا تقبح»: لا تقل قبحك الله.

ومن حسن قوامة الرجل أيضا على زوجته ألا يعيرها بدمامة خلقتها - إن كانت كذلك - وأن يطعمها ويكسوها، وينفق عليها بالمعروف، أى بحسب طاقته وإمكاناته، دون تبذير وتقتير وألا يضرب الوجه تكريماً له.

وإنه ليس من حق الزوج أن يقول لزوجته «قبح الله وجهك، أى ذاتك، إذ ليس من حقه أن ينسب الوجه أو شيئاً من بدن الزوجة إلى القبح، والذى هو ضد الحسن والجمال. وذلك لأن الله تعالى هو الذى صور وجهها وجسمها، فأحسن كل شىء خلقه.. ولا شك أن ذم الصنعة يعود ويقود إلى ذم الصانع.[٤]

---

(١) سنن الترمذى - الجزء السادس - كتاب الجهاد - باب ما جاء فى الإمام - الحديث رقم ١٥٠٧، ص٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص٢٨.

(٣) رياض الصالحين: الباب الرابع والثلاثون - فى الوصية بالنساء - الحديث رقم ٢٧٨، ص١٧٢.

(٤) أبو مريم مجدى فتحى السيد: حقوق المرأة على زوجها - دراسة فى الكتاب والسنة - سلسلة الحقوق النسائية - رقم (١) - مكتبة السوارى للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص٤٥.

ومن حسن قوامة الرجل على زوجته . وهو متحمل لمسئولية إدارة البيت . وتوجيه الزوجة . والأطفال، وتقويمهم وتربيتهم . وحسن رعايتهم، وفوق ذلك أنه مسئول مسئولية مباشرة عن إشاعة روح الأمن والتسامح والرفق والدفء فى البيت، وذلك عن طريق الوفاء بالحقوق الزوجية فى حدود الطاقة والوسع لقوله تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».(١)

لقد سُمع رسول الله . ﷺ . فى حجة الوداع يقول . بعد أن حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وذكر ووعظ ثم قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع، واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن»(٢). رواه الترمذى وقال حديث صحيح . قوله . ﷺ عوان أى أسيرات.. والضرب المبرح هو الضرب الشاق الشديد.

إن النساء أسيرات فى دخولهن تحت حكم الأزواج، ولا يملك الأزواج منهن شيئاً غير الاستمتاع، وأن يقمن بخدمتهم ورعايتهم وتدبير شئون المنزل، وتربية الأولاد، ولا يملك الأزواج أن يعرضوا أزواجهن لأذى أو مكروه، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، أى يظهرن نشوذا، وسلوكاً محرماً شرعاً .. هنا فقط يحق للأزواج أن يتدخلوا للتأديب والتربية والتقويم فى حدود ما شرعه الله تعالى، وأوضحته السنة النبوية المطهرة، وذلك من خلال ثلاثة أساليب، وهى أساليب تربوية بالدرجة الأولى، هدفها التقويم والإصلاح، والعفة من أجل صلاح البيت المسلم، والحفاظ على طهره وتماسكه وهذه الأساليب هى كما يلى:

١ ـ الوعظ.

٢ ـ الهجر فى المضاجع.

٣ ـ الضرب الخفيف، غير المبرح.

---

(١) قرآن كريم: سورة البقرة، من الآية رقم ٢٨٦.

(٢) رياض الصالحين . الباب الرابع والثلاثون . فى الوصية بالنساء . الحديث رقم ٢٧٧، ص١٧١.

إن السنة النبوية باعتبارها منهج حياة للمسلم فى كل دقيق وجليل، وصغير وكبير، وكل ما يهم أمر الفرد والجماعة المسلمة فى الأمور الخاصة والأمور العامة، إن هذه السنة النبوية توضح حدود وحقوق الزوجين على بعضهما، فللزوج حقوق على زوجته، أوجبتها له الشريعة الإسلامية السمحة، وللزوجة حقوقها على زوجها أيضا، كفلتها لها الشريعة الإسلامية وإن من حق الزوجة على زوجها أن يحسن إليها فى المعاشرة والمعاملة والكسوة والإطعام والسكن والمودة.. وكل ذلك فى حدود الطاقة وقدر الوسع.. لقوله تعالى: «لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها»[١]. وقوله تعالى: «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها».[٢]

ومن حسن قوامة الرجل على امرأته أن يصبر عليها إذا رأى منها مالا يعجبه، ومالا يروق له، من التصرفات البشرية اليومية، العادية على أن لا تكون هذه التصرفات مما يوجب غضب الله، أو ليست فى طاعته، فعلى الزوج أن يراعى هذه الأمور عند امرأته ويعرف لها ضعفها بوصفها أنثى، فوق نقصها باعتبارها إنسانا، ويعرف لها حسناتها، بجانب أخطائها، ومزاياها إلى جوار عيوبها».[٣] وذلك من أجل الحفاظ على عش هادىء وآمن، ترفرف عليه السعادة الزوجية، والهدوء النفسى والاستقرار والأمان، حتى تنعكس هذه الصفات على الأولاد فينشأوا نشأة مستقرة غير قلقة، من خلال الأسرة، باعتبارها المحضن الأول للعملية التربوية.

إن من توجيهات السنة النبوية للأزواج أن يحسنوا القوامة وأن يستوعبوا الدرس والمهمة العظيمة الملقاة على أكتاف الزوجين إنها مسئولية عظيمة، ومسألة جليلة، وذلك لأنها مهمة تربوية على قدر كبير من الخطورة، وإذا كانت التربية ـ بوصفها أحد العلوم الإنسانية ـ حديثة النشأة، صعبة، وخطيرة ويرجع سبب صعوبتها لأخذها من العلوم الأخرى المتصلة بها، وتشابكها معها، إلا أن القيام بالعملية التربوية، كتطبيق فعلى، وليس تخطيطا أو تنظيراً، يعد من أصعب الأمور وأكثرها ثقلاً وعبئاً يقع على كل المهتمين بهذه

---

(١) قرآن كريم ـ سورة الطلاق ـ من الآية ٧.

(٢) قرآن كريم ـ سورة البقرة ـ من الآية ٢٨٦.

(٣) الدكتور يوسف القرضاوى: الحلال والحرام فى الإسلام ـ الطبعة الرابعة عشر ـ مكتبة وهبه ـ القاهرة، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ص١٧٢.

العملية، ومن المهتمين بها، الرجل فى بيته، الذى يقوم بدور المعلم والموجه والقدوة والمرشد والطبيب والقاضى، والصديق والأخ، والزوج، والمؤدب وغير ذلك من الأدوار التى تتجاذبه وتتقاسمه. لكنها برغم تعددها وكثرتها إلا أنها لا تتعارض أو تتناقض، فكلما كانت الأدوار التى يلعبها الزوج أكثر دل ذلك على قيمته ومكانته فى المجتمع.

لقد أوصى الرسول - ﷺ الأزواج بالنساء خيراً، فقال ﷺ ، لهم: «إستوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وأن أعوج ما فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»[١] «متفق عليه».

وفى رواية فى الصحيحين: «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها أستمتعت بها وفيها عوج».[٢]

وفى رواية لمسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج، لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».[٣]

إن من حسن القوامة، الرفق واللين مع زوجته، وذلك لضعف طبيعتها وطبيعة فطرتها، وحدود طاقتها وواقعها، وبناء على هذه الطبيعة البشرية، بتكوينها وإمكاناتها ينبغى على الزوج المسلم أن يقدر هذا المعنى ويستوعبه، فيصبر على أعوجاج زوجته أو أذاها، حتى تصل السفينة إلى مرفأ النجاة وشاطىء الأمان، ضمانا لها من التصدعات التى قد تؤدى بها ويدفع الصغار ثمن ذلك كله ضياعاً وانهياراً وتشرداً.

ولا شك أن حسن القوامة عبادة وطاعة والتزام بالأوامر والنواهى الإلهية وتدبر للعواقب.. وإن تنظيم أمور وحياة الأسرة، والمحافظة عليها من الخلافات والأهواء واتقاء عناصر الهدم والتدمير قدر الجهد، ليس أمراً هينا ولا سهلاً إنه أمر شاق وصعب.. إنه مسئولية، وحقوق وواجبات.. من أجل ضمان واستقرار الأسرة وبقائها واستمرارها فى جو من العفة والطهارة وجو من السكينة والوقار والاستقرار، والمودة والرحمة.. وفى حدود ما رسمتها الشريعة الإسلامية، والضمانات الربانية، والقيم الخلقية رفيعة القدر..

(١، ٢، ٣) رياض الصالحين: الباب الرابع والثلاثون - فى الوصية بالنساء - الحديث رقم ٢٧٤، ص١٧٠.

التى لا تلغى وجود أو شخصية الزوج أو الزوجة ولا حقوق أى من الزوجين على الآخر ولا واجبات أيهما نحو الآخر.

وعلى الأزواج أن يعوا حدود القوامة وطبيعتها ووظيفتها.. إن القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة فى البيت السعيد، ولا إلغاء حقوقها، ولا إلغاء واجباتها.. إن القوامة وظيفة إنسانية داخل كيان من أهم كيانات المجتمع الإنسانى ولبنة من أهم لبناته، وهو الأسرة من أجل حمايتها وصيانتها، والوصول بها إلى أهدافها وغاياتها التى ينتظرها المجتمع. والقوامة ليس معناها تقطيب جبين، وصوت مرتفع، وأمر ونهى.. بقدر ما ينبغى أن يصاحبها من لين جانب، ورعاية وحماية، وعطف وبر، وتكاليف وآداب وسلوك وحياة، وتعاون بين الزوجين على البر والتقوى.. فى كل ما يخص أمر حياتهم الزوجية وسعادتهم العائلية.

على الأزواج أن يستوعبوا هذه المعانى، فى ضوء فهمهم الصحيح لطبيعة المرأة، وفى حدود إمكاناتها، وما إختصها الله به، إنها مخلوقة ضعيفة.. لها صفاتها وخصائصها الملازمة لها، فيها من الرقة والعطف وسرعة الانفعال، لها من التكوين المتناسب مع الوظائف الإنسانية التى خلقها الله بها.. إن الأزواج إذا إستوعبوا هذه المعانى استيعابا صحيحاً عن فهم وتدبر واقتناع ـ دون عقد ـ ودون تهويل ـ لهان عليهم وسهل كل أمر عسير، فى مجال الحياة الزوجية، فوازن الرجل بين ما يبغضه فى زوجته أو يبغضه فيها، وبين ما يرضاه أو يرتضيه، ولوصل إلى التسامح والتجاوز عن هنات تعد من سفاسف الأمور، فلا يقف عندها ليحمل نفسه أعباءً ومتاعب نفسية، وهموماً قد تقض مضجعه وتخرب عليه حياته.. وهنا يأتى قول رسول الله ـ ﷺ ـ البلسم الشافى، والعلاج الوافى، ومن ثم يتغاضى ويتسامح.. فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا، رضى عنها آخر». أو قال: «غيره»...[1] (رواه مسلم).

وإن من حسن قوامة الزوج المسلم ـ حسب ما توجهه السنة النبوية ـ عدم النفور أو الاشمئزاز منها، خصوصاً إذا وجد فيها صفات ـ خلقية ـ من صنع الله تعالى ـ لا دخل

---

(١) رياض الصالحين ـ الباب الرابع والثلاثون ـ فى الوصية بالنساء ـ الحديث رقم ٢٧٦، ص١٧١.

لإنسان فيها . كعقم أو مرض أو قصر أو أى صفة من الصفات، التى قد يراها عيباً فى نظره. ومن مظاهر حسن القوامة أن يحافظ الرجل على شعور زوجته، وذلك بإمساكه عن رميها بالعيوب أو سبها أو شتمها أو توجيه أى إهانة تحقر من شأنها وتقلل قدرها.

وتوجه السنة النبوية الزوج المسلم توجيها بليغا، فتلفت نظره إلى أمور لا يعيها . أو ربما لا يقصدها، وكأنما تقول له: أيها الزوج المسلم، يا من ملكت عصمة امرأة مؤمنة ذات دين وخلق، وفيها بعض الصفات الخلقية التى تراها منقصة من جمالها، ربما تؤذيك شعورياً : «أنظر إلى زوجتك من زوايا مختلفة، وبكلتا عينيك، لا بعين واحدة، فلعل صفات الخير منها تخفف من حدة نفورك منها، فإن العقيم قد تكون عفة اللسان طاهرة، أو تكون صناعة ماهرة، ومثل هذه الصفات تفوق الجمال الحسى وفى وزن المرأة المثالية».(١)

كما أن من حسن قوامة الرجل المسلم أن يتأدب بأدب القرآن، وأدب الهدى المحمدى، فيحفظ سر زوجته، ولا ينشر خبرها. ومن حسن قوامته أيضاً أن يعلمها العلم الشرعى، ويوجهها الوجهة الإسلامية الصالحة والتى تتطلبها الحياة الإسلامية المتوازنة، المتسقة مع الطبيعة البشرية، أو النظرة الإنسانية، والآخذة فى اعتبارها القيم العليا كضوابط للسلوك البشرى.

لقد وجهت السنة النبوية المطهرة الشباب الراغب فى الزواج، وتكوين أسرة، أن يختار المرأة الصالحة، على أساس الدين والخلق الرفيع واضعاً فى حسبانه أن «الزواج ليس قضاء وطر، وراحة بدن ثائر، إن الأمر أسمى من ذلك» وأكبر، وإن طالب الزواج، عليه أن يختار لنفسه، ويطلب الأزكى، والأنقى..» وذلك بهدف مؤداه أن «السعادة الزوجية مطلب من مطالب المؤمنين، فالمؤمن يكره أن يعيش مستوحشا قلقا، لا قرار له...».(٢)

إن المؤمن فى حاجة ماسة ودائمة إلى أن يعيش حياة الجماعة، تحوطه الطمأنينة وتشمله حياة الأمن والاستقرار ويحدوه الأمل فى غد أفضل، ومستقبل أكبر رحابة من

(١) أبو مريم مجدى فتحى السيد: حقوق المرأة على زوجها . مرجع سابق، ص٤٧.

(٢) محمد الغزالى: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة . الطبعة الثالثة . دار الشروق . القاهرة . بيروت . ١٤١٢هـ . ١٩٩١م، ص١٠٤ . ١٠٥.

أمسه الذى مضى، ولا يجد كل هذا إلا فى رياض الإيمان وجناته الوارفة، المستمدة من الله أصولها وجذورها. وهذا ما يؤكده عباد الرحمن ويدعون ربهم دوما أن يحقق لهم أهدافهم النبيلة من خلال دعواتهم «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما».[١]

إن عباد الله الراغبين فى الزواج، ملتمسون من الله عزوجل أن يهبهم الزوجات المؤمنات، القانتات الصالحات، فعن طريقهن يرزقهم الله تعالى الذرية الصالحة، التى تقر بها عيونهم وذلك بهدف الاستقرار النفسى والأمن الدائم، وحتى يكونوا بعد ذلك قادة وقدوة ونماذج للمتقين وأئمة يهدون إلى الخير والصلاح والبر.. إنهم دائماً على صلة بالله وفى ذكر وشكر دائم له سبحانه وتعالى..

إن الشعور الفطرى الإيمانى العميق، شعور فى مضاعفة المؤمنين المحسنين، السالكين دروب الطاعة لله تعالى وحده، وفى أولهم الذرية الصالحة والأزواج، فهم أقرب الناس تبعة وهم أول أمانة يسأل عنها الرجال، والرغبة كذلك فى أن يحس المؤمن أنه قدوة لغيره فى الخير وكل مجالات البر.[٢]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية، هى قيم ربانية، المصدر ليست وضعية بشرية أو آتية من الشرق أو من الغرب، إنها سماوية «بمعنى أن الوحى الإلهى هو الذى وضع أصولها، وحدد أساسياتها وأصولها وركائزها التى لابد منها لبيان معالم الشخصية الإنسانية، حتى تبدو متكاملة، متماسكة متميزة فى مخبرها ومظهرها، عالمة بوجهتها وطريقها إذا التبست على غيرها المسالك، واختلطت الدروب».[٣]

---

(١) قرآن كريم. سورة الفرقان. من الآية ٧٤.

(٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن. المجلد الخامس. الطبعة العاشرة. دار الشروق. القاهرة. بيروت. ١٤٠١هـ. ١٩٨١م، ص٢٥٨١.

(٣) الدكتور يوسف القرضاوى: الخصائص العامة للإسلام. مرجع سابق، ص٣٩.

٣ ـ حسن التبعل:

كل حق يقابله واجب، فكما أن حقوق الزوج على زوجته، هى واجبات الزوجة نحو زوجها، فإن واجبات الزوج نحو زوجته هى حقوقها عليه.

وكما أن الزوج مطالب بحسن المعاشرة لزوجته، وأيضاً حسن القوامة، وإدارة شئون الحياة الزوجية، وتحمل أعبائها وتبعاتها بصبر وجلد، وحب ورضاء، طاعة لله، وابتغاء لمرضاته وامتثالاً لشرعه وهديه، ولذلك الزوجة مطالبة بحسن التبعل، وأن تعرف دورها فى الحياة الزوجية، فتقف عند الحدود التى أوضحتها الشريعة الإسلامية الغراء لها ـ فى حدود إمكاناتها ـ وبحسب طبيعتها، وخصائصها وما يتطلب ذلك من قدرات ومواهب وطاقات، كل ذلك فى سبيل قيامها بدورها نحو زوجها وأولادها وأسرتها، من أجل إستمراز النوع وبقائه سعيداً وطاهراً ومن ثم إنعكاس هذه العلاقة وهذه السعادة على المجتمع المسلم بصفة عامة.

ولقد وجهت السنة النبوية المطهرة الزوج الوجهة الإسلامية الصحيحة، وحددت له معالم هذا المنهج التربوى الإسلامى وكيف يحسن معاشرته لزوجته، وكذلك كيف يقوم بمسئوليته نحو أسرته ويحسن القوامة، فأوصته بالمرأة خيراً، وعلى الجانب المقابل وجهت السنة النبوية المرأة، الوجهة الإيمانية، وكيف تكون طاعتها لزوجها، ومقاسمتها إياه أدوار الحياة الزوجية بحسب إمكانات كل منهما ـ التى هيأها الله له، وجبلها عليه، على أن يكون كل ذلك فى حدود الحلال المشروع، والإنصاف والعدل والقدرة والاستطاعة والامكانات والمهارات.

وقد كان من توجيهات السنة النبوية للمرأة المسلمة، أن أمرتها بطاعة زوجها، وعدم التمرد عليه، إذ فى طاعتها له، مرضاة لله ولرسوله ـ ﷺ ـ فذهبت بذلك مذهبا بعيداً يتضح لنا من خلال ما يرويه أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ، بخصوص طاعة الزوجة لزوجها، وحسن تبعلها له: «لو كنت آمرا أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[1] رواه الترمذى.

---

(١) سنن الترمذى الجزء الرابع ـ كتاب الرضاع باب ما جاء فى حق الزوج على المرأة ـ الحديث رقم ١١٥٩، ص١٣٣.
ـ انظر: رياض الصالحين، الحديث رقم ٢٨٦، ص١٧٥.

وسبب ورود هذا الحديث كما جاء عند أبى داود عن قيس بن سعد قال: (أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون (لمرزبان) لهم. فقلت يا رسول الله أحق أن يسجد له؟ قال: فأتيت النبى . ﷺ . فقلت: إنى أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزيان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك . قال: أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له؟ قال: قلت: لا . قال: فلا تفعلوا . لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدون لأزواجهن، لما جعل الله لهم عليهن من الحق).[1]

فعن عبدالله بن أبى أوفى. قال: لما قدم معاذ من الشام سجد للنبى . ﷺ . فقال: ما هذا يا معاذ؟ قال: أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفهم وبطارقتهم، فوددت فى نفسى أن أفعل ذلك لك، فقال رسول الله . ﷺ : فلا تفعلوا، فإنى لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . والذى نفس محمد بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها، ولو سألها نفسها، وهى على قتب لم تمنعه).[2]

وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن النبى . ﷺ أنه قال: (إذا صلت المرأة خمسها. وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها، دخلت من أى أبواب الجنة شاءت).[3]

وهكذا فإن السنة النبوية المطهرة وهى تربى المرأة التربية الجنسية الصحيحة. إنما تجعل سخط الزوج سببا فى لعنة الملائكة، بل وسخط الله على زوجته، ولقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله . ﷺ : «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته، فلتأته، وإن كانت على التنور»[4] أى أن حسن تبعل الزوجة يوجب عليها طاعتها لزوجها . إذا كانت فى طاعة الله . حفظا لفرجه، وغضا لبصره، وسعيا لمرضاة الله تعالى، على ألا يمنعها عذر شرعى.

---

(١) سنن الترمذى، ص١٣٣ (الهامش)

(٢، ٣) سنن ابن ماجه . كتاب الرضاع . باب ما جاء فى حق الزوج على المرأة . هامش الحديث رقم ١١٥٩، ص١٣٣.

(٤) سنن الترمذى: الجزء الرابع . كتاب الرضاع . باب ما جاء فى حق الزوج على المرأة . الحديث رقم ١١٦٠، ص١٣٤.

انظر رياض الصالحين، الحديث رقم ٢٨٥، ص١٧٥.

كما أوجبت السنة النبوية المطهرة على الزوج حسن القوامة، والصبر على ما يكره من تصرفات زوجته، ففى الجانب الآخر أوجبت على الزوجة هى الأخرى أن تعمل على استرضاء زوجها بما عندها من قدرة وسحر، وحذرتها أن تبيت وزوجها غاضب»[1] فإذا غضب زوجها بسبب أنه دعاها إلى فراشه ـ كناية عن الجماع فإن الملائكة تدعو على المغاضبة زوجها الممتنعة عن إجابته إلى فراشه، وهذا ما يؤكد وجوب طاعة الزوج وتحريم عصيانه ومغاضبته، لغير عذر أو مانع شرعى يمنعها.

فلقد روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجىء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح».[2]

وفى رواية: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها، لعنتها الملائكة حتى تصبح» وفى رواية ـ قال رسول الله ـ ﷺ : «والذى نفسى بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها».

ومعنى هذا أن مرضاة الزوج موجبة لمرضاة الله تعالى إذا كانت طاعته، طاعة الله، فإن أحسنت المرأة عشرة زوجها وأحسنت تبعلها، وكان زوجها راضياً عنها كان ذلك موجبا لرضاء الله عنها، وإذا غضب الزوج على زوجته لعصيانها وعدم اتيانه الفراش، أو هجرها فراشها، كان ذلك سبباً للعنة الملائكة ومن ثم غضب الله، وبالتالى وجب على الزوج تأديبها وتقويمها، وإن من علامات المرأة الصالحة «أن تكون قانتة أى مداومة على طاعة زوجها، فمتى امتنعت عن إجابته الفراش كانت عاصية ناشزة، وكان ذلك يبيح له ضربها»[3]. لقد مدح الله تعالى الزوجات الصالحات بقوله تعالى: «فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله».[4]

---

(١) دكتور يوسف القرضاوى: الحلال والحرام فى الإسلام. مرجع سابق، ص١٧٢.
(٢) سنن الترمذى: الجزء الرابع ـ كتاب الرضاع ـ باب ما جاء فى حق الزوج على المرأة ـ الحديث رقم ١١٦١، ص١٣٥ (الهامش).
(٣) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى ـ الجزء الرابع ـ دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م، ص١٢٧.
(٤) قرآن كريم ـ سورة النساء: من الآية ٣٤.

إن من طبيعة الزوجة المؤمنة أن تكون صالحة، فالصلاح صفة ملازمة لها، بحكم إيمانها، وصلاحها يوجب عليها أن تكون قانتة أى مطيعة، والقنوت هو الطاعة عن إرادة وتوجه ورضا، ورغبة ومحبة، لا عن كره، وقسر وقهر وإرغام وتفلت ومعاظلة، هذا القنوت هو الذى يليق بالسكن والمودة والستر بين شطرى النفس الواحدة، فى المحضن الذى يرعى الناشئة. ويطبعهم بجوه وأنفاسه وظلاله.. بل إن من صفات المرأة الصالحة القانتة المؤمنة، المحافظة على حرمة الرباط المقدس بينها وبين زوجها فى غيبته، وإذا كان الأمر كذلك فإن المحافظة عليه فى حضوره أولى.. وإن المحافظة والطاعة وما يحل ومالا يحل.. إنما يقرره الله سبحانه وتعالى[(١)] وهذا ما ينبغى أن يكون عليه حسن التبعل، وهو نفسه الذى يؤكد إلهية القيم الخلقية فى السنة النبوية المطهرة وأنها مقدسة.

إن حسن تبعل الزوجة لزوجها يوجب لها الجنة، فعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ـ ﷺ : «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة».[(٢)]

وحسن التبعل الذى يوجب رضا الزوج عن زوجته هو الذى يوجب عليها أن تؤدى حقها عليه خير أداء، وتقوم على راحته، وطاعته ـ وفى غير معصية الله ـ حتى أن السنة النبوية جعلت رضا الزوج عن زوجته سبباً فى دخولها الجنة، ثوابا من عند الله، والله تعالى عنده حسن الثواب.

ومن حسن تبعل المرأة ألا تصوم ـ صيام التطوع ـ إلا بإذن زوجها ورضاه عن ذلك، كما لا يحق لها أن تدخل بيت زوجها من يكرهه أو من لا يرضى عنه ـ وهذا من حسن التبعل وهذا من حقوقه عليها ـ طاعة لله ـ وتأدبا بأدب الإسلام ـ مصداقاً لقول رسول الله ـ ﷺ : «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه» (متفق عليه) وهذا لفظ البخارى.. «فإذا كان الرسول ـ ﷺ ـ قد حرم على المرأة أن تصوم ـ تطوعا ـ إذا كان زوجها شاهداً، إلا بإذنه، فيمنع الصوم، بعض ما يجب له عليها، فكيف

---

(١) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ المجلد الثانى ـ الطبعة التاسعة ـ دار الشرق ـ القاهرة ـ بيروت ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠، ص٦٥٢.

(٢) سنن الترمذى: الجزء الرابع ـ كتاب الرضاع ـ باب ما جاء فى حق الزوج على المرأة ـ الحديث رقم ١١٦١، ص١٣٤.

يكون حالها إذا طلبها فامتنعت!».[1]

من حسن تبعل المرأة، حفظ سر زوجها، وبالتالى حفظ أسرار غيرها من النساء، فلا تكشف أسرار بنات جنسها عند زوجها بأن تباشرهن أو تلامسهن، فتتعرف على مفاتنهن وما فيهن من نعومة وحسن، ثم تصف ذلك لزوجها.. وقد نهت السنة المطهرة عن ذلك، لقول رسول الله ﷺ : «لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها، كأنه ينظر إليها»[2] (متفق عليه).

إن مست المرأة بشرة المرأة للتعرف على ما فيها من محاسن أو مفاتن أو نعومة أو نحو ذلك، ثم نقلت ما رأته أو ما شاهدته أو لمسته - من مفاتن - ظاهرة أو خفية - إلى زوجها، حتى كأنه وهو يستمع إليها ينظر أو يشاهد، إن هذا يؤدى إلى خلل فى نظام الأسرة المسلمة ومن ثم خلل فى النظام الاجتماعى كله.. لأنه سبب لإشاعة الفوضى الجنسية، وتفكك الأسرة، وانهيارها بتفككها وتحلل أخلاقها، ومن أجل ذلك نهت السنة النبوية أن تصف المرأة المسلمة محاسن المرأة الأخرى لزوجها، واعتبرت ذلك نوعا من فضح أسرارها وكشف أستارها وليس من حقها إلا إذا استوجبت ذلك ضرورة شرعية فقط.

وإذا كان الأمر كذلك فى حق المرأة ووجوب حفاظها على أسرار بنات جنسها، بألا تفشى أسرارهن وتكشف أستارهن عند زوجها، كان من باب أولى أن تحافظ على أسرار الحياة الزوجية، الخاصة بها وبزوجها فلا تفشى أسرار زوجها، بل تحافظ عليها حفاظها على دوام الحياة الزوجية النظيفة العفيفة، وإنه مما ينبغى الحفاظ عليه فى الحياة الزوجية أن يحافظ على كل ما كان بين الزوجة وزوجها فى علاقة خاصة، فلا يصح أن يكون حديثا فى المجالس أو سمراً فى الندوات مع الأصدقاء والصديقات».[3]

٤ ـ الحياء:

الحياء شعبة من شعب الإيمان.. وصفة من الصفات التى تمنع صاحبها من اقتران إثم أو ارتكاب فحش أو الاقتراب مما يعد رذيلة، بل تبعده عن سفاسف الأمور

---

(١) ابن تيميه: الفتاوى الكبرى - الجزء الرابع - مرجع سابق، ص١٢٧.

(٢) رياض الصالحين: الباب الحادى والثلاثون بعد الثلاثمائة - باب النهى عن وصف محاسن المرأة لرجل - الحديث رقم ١٧٤٠، ص٧٦٤.

(٣) الدكتور يوسف القرضاوى: الحلال والحرام فى الإسلام - مرجع سابق، ص١٦٦.

وصغائرها، وتنأى به عن الرذائل، وتقربه إلى الفضائل.. ويكفى أن الحياء خاصية من خصائص الإسلام.

والحياء خلق رسول الله - ﷺ - بل وخلق الأنبياء والمرسلين جميعا.. وخلق صحابة رسول الله - ﷺ ... ربى رسول الله - ﷺ - صحابته الكرام على هذه الفضيلة، كما تربى عليها كل من نهج نهجه وسار على هديه ومنواله.

وكان رسول الله - ﷺ أكثر الناس حياءً، وأكثرهم رقة وأدباً وخلقاً، وأشدهم حرصاً وتمسكاً بفضائل الإسلام وخلقه، حتى قيل عنه - ﷺ - أنه أشد حياءً من الفتاة البكر - التى لم تتزوج بعد - فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - أشد حياءً من العذراء فى خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه»[1] «متفق عليه».

إن هدف المسلم فى حياته أن يكون سعيداً، وإن اختلف الناس حول مفهوم السعادة، وحول أسبابها وطبيعتها، ولكن مما لا خلاف عليه أن السعادة الحقة تكمن فى طاعة الله والسير على منهجه وطريقه المستقيم ابتغاء مرضاته فى الدنيا والفوز بما أعده للطائعين فى الآخرة. ومن أسباب السعادة أن يتصف المؤمن بخلق الحياء، الذى قيل عنه «إن حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق، روى عن أبى القاسم الجنيد - رحمه الله - قال: الحياء رؤية الآلاء: أى النعم، ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى حياءً».[2]

والمؤمن وحده الذى يرى الآلاء، وينسبها إلى ربه تعالى، صاحب الفضل والمنة، والمؤمن وحده هو الذى يرى التقصير فى نفسه.. فيتوب إلى ربه ويثوب إلى حظيرته.. والمؤمن وحده هو الذى يستشعر تلك الحالة، التى تجعله دائما فى حالة استنفار ويقظة وفقر دائم إلى الله، محتاجاً إليه، مطمئنا لعدله ورحمته وحكمته وإحاطته بكل شىء علماً..

---

(١) مختصر صحيح مسلم - كتاب الفضائل - باب كان النبى صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها - الحديث رقم ١٥٦٨، ص٤١٢.

(٢) رياض الصالحين - كتاب الأدب - باب الحياء وفضله والحث على التخلق به، الحديث رقم ٦٨٣، ص٣٦٤.

واثقاً من فضله وكرمه للطائعين والمنيبين إليه ممن يتصفون بصفة الحياء.. فهم دائما فى حياء من الله واستحياء منه سبحانه وتعالى.

إن من قيم التربية الخلقية للتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية، قيمة الحياء، هذه القيمة الرفيعة، التى تحرص السنة النبوية عليها وتربى أبناء الإسلام على الأخذ بها والتحلى بشمائلها، وهى إذ تحرص على ذلك، إنما تحرص على صلاح الفرد وخير المجتمع بأكمله.

إن الحياء، لغة، مشتق من «الحياة، والغيث يسمى حيا ـ بالكسر لأن به حياة الأرض والنبات، والدواب، وكذلك سميت بالحياء حياة الدنيا والآخرة، فمن لا حياء له، فهو ميت فى الدنيا، شقى فى الآخرة» قال بعض البلغاء: «حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه».[١]

والحياء شرعاً هو «خلق سنى، يبعث على ترك الأمور القبيحة، فيحول بين الإنسان، وارتكاب المعاصى، ويمنعه من التقصير فى حق كل ذى الحق».[٢]

ويدل على هذا المعنى الشرعى للحياء، ما صح عن رسول الله ـ ﷺ الذى قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت».[٣]

ولقد روى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «استحيوا من الله حق الحياء (قال): قلنا يا رسول الله، إنا نستحى والحمد لله، قال: ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله ـ حق الحياء ـ أن تحفظ الرأس وما وعى و«تحفظ» البطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا (يعنى) من الله حق الحياء».[٤]

---

(١) محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم ـ الحياء خلق الإسلام ـ دار الحرمين للطباعة ـ القاهرة ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣، ص٥.

(٢) سليم الهلالى: الحياء فى ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، مكتبة ابن الجوزى، الدمام ـ المملكة العربية السعودية ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨، ص٩.

(٣) صحيح البخارى ـ الجزء السابع ـ المكتبة الإسلامية ـ للطباعة والنشر ـ استانبول ـ تركيا، ص١٠٠.

(٤) سنن الترمذى: الجزء السابع ـ كتاب صفة القيامة ـ الحديث رقم ٢٤٦٠، ص١٦٥.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «الإيمان بضع وستون أو سبعون باباً، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأرفعها قول: (لا إله إلا الله) والحياء شعبة من الإيمان».[١]

والبضع ـ بكسر الباء ـ ويجوز فتحها هو من الثلاثة إلى العشرة، و«الشعبة» هى القطعة، والخصلة، و«الإماطة» معناها «الإزالة»، و«الأذى» هو كل ما يؤذى كحجر أو شوك أو طين ورماد وقذر.. ونحو ذلك.[٢]

إن الحياء خاصية من الخصائص البشرية، وصفة من الصفات الإنسانية السنية وشيمة من الشيم الإيمانية، يتحلى بها أصحاب الطبائع البشرية السوية النقية فتدفع صاحبها إلى ترك كل قبيح وذميم، والتمسك بكل خصال الخير ومكارم الأخلاق، لأنها سجيه من سجايا الإسلام، وهى ـ أى هذه القيمة أو الصفة ـ من خلق الأنبياء والمرسلين جميعا، فقد روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ أن موسى عليه السلام كان رجلاً حيياً ستيراً، ما يرى من جلده شىء، استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أدره[٣] وإما آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، وإن موسى خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، فطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر[٤] حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عريانا، أحسن الناس خلقا، وأبرأه مما كانوا يقولون قال وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق[٥] بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا[٦] من أثر عصاه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً[٧] فذلك قوله: «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا

---

(١) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ باب فى الإيمان ـ الحديث رقم ٥٧، ص٢٢.

(٢) رياض الصالحين ـ كتاب الأدب ـ باب الحياء والحث على التخلق به ـ شرح الحديث رقم ٦٨٢، ص٣٦٣.

(٣) الأدرة: نفخ فى الخصيتين.

(٤) أى رد على ثوبى يا حجر.

(٥) طفق: أخذ.

(٦) الندب: أثر الجرح.

(٧) سنن الترمذى ـ الجزء الثامن ـ كتاب تفسير القرآن ـ من سورة الأحزاب ـ الحديث رقم ٣٢١٩، ص٣٥٤.

موسى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيها».(1)

إن الحياء خلق جميل، يزين ما حل به، ويشين ما حرم منه، حتى قيل: ما وجد الحياء في شيء إلا زانه.. وما خرج من شيء إلا شانه.. ولقد روى أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ قال: «ما كان الحياء فى شيء إلا زانه وما كان الفحش فى شيء إلا شانه».(2)

والحياء خير كله أو كله خير، فقد صح عن رسول الله - ﷺ قوله: «الحياء خير كله» أو قال: «الحياء كله خير».(3)

والحياء سبب لكل فضيلة ومجلبة لكل خير وبركة، لقول رسول الله - ﷺ : «الحياء لا يأتى إلا بخير».(4)

والحياء من الإيمان، وهو من الله تعالى، إذ أنه «طريق إلى إقامة كل طاعة، واجتناب لكل معصية، لأنه إذا خاف العبد ذم ربه، لم يرفض له طاعة، ولم يقرب له معصية، وبذلك يكون الحياء من الإيمان».(5)

إن الحياء من الله، ولله، وفى الله تعالى، خوفاً منه وخشية، فعن سالم عن أبيه قال: «سمع النبى - ﷺ - رجلاً يعظ أخاه فى الحياء، فقال: «إن الحياء شعبة من الإيمان».(6)

لقد فجر الإيمان فى قلب المؤمن ينابيع السعادة، لا تنفد، ولا تتحقق السعادة إلا بالإيمان.. ولا تتم سكينة النفس وراحتها إلا بالإيمان، ولا يكون الرضا إلا بالإيمان، ولا يقوم المجتمع المسلم إلا بالإيمان.. كل ذلك مرجعه بدهية مؤداها أن «المجتمع بغير دين ولا إيمان مجتمع غابة، وإن لمعت فيه بوارق الحضارة، الحياة والبقاء فيه للأشد والأقوى،

---

(1) قرآن كريم - سورة الأحزاب - الآية ٦٩.

(2) الامام البخارى، الأدب المفرد: باب الحياء - الحديث رقم ٦٠١، ص١٨٢.

(3) مختصر صحيح مسلم: كتاب الإيمان - باب الحياء من الإيمان - الحديث رقم ٣١، ص١٥.

(4) رياض الصالحين - كتاب الأدب - باب الحياء وفضله والحث على التخلق به - الحديث رقم ٦٨١، ص٣٦٣.

(5) سليم الهلالى: الحياء فى ضوء القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة - مرجع سابق، ص١٩.

(6) مختصر صحيح مسلم: كتاب الغسل - باب النهى عن النظر إلى عورة الرجل والمرأة - الحديث رقم ١٥٩، ص٥١.

لا للأفضل والأتقى، مجتمع تعاسة وشقاء، وإن ذخر بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم، مجتمع رخيص، لأن غايات أهله لا تتجاوز شهوات البطون والفروج».[١]

إن الإيمان الذى نعنيه ليس مجرد إعلان المرء بلسانه أنه مؤمن، وليس مجرد قيام الإنسان بأعمال وشعائر أعتيد أن يقوم بها المؤمنون.. وقلوبهم خراب من الخير والصلاح والإخلاص لله وحده.. وليس لمجرد معرفة ذهنية بحقائق الإيمان.. إن الإيمان الذى نعنيه ليس مجرد عمل لسانى، ولا عمل بدنى، أو عمل ذهنى.. إنه فى حقيقته عمل نفسى يبلغ أغوار النفس البشرية والطبيعة الإنسانية، ويحيط بكل جنباتها وجوانبها، من إدراك.. وإرادة.. ووجدان.. وكل ذلك لا يتم إلا عن طريق الوحى الإلهى المعصوم[٢].. ولكى يكون مقبولاً ينبغى أن يكون مشروعاً وموافقا لما جاءت به السنة النبوية المطهرة.

إن هذا الإيمان هو الذى يرقى بالإنسان ويدفعه إلى كل خير وبر، ويمنعه عن كل جور وإثم.. ومن ثمرات هذا الإيمان قيمة الحياء.

إن الحياء قيمة خلقية من قيم التربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة، هذه القيمة فيها من الطهارة والنقاء، ما فى الإيمان نفسه لأن مصدرها إلهى.. إنها إيمانية.. ومن ثمراتها ومظاهرها أن الرجل المسلم منهى أن ينظر إلى عورة الرجل، حياءً من الله، وتأدباً معه، وتربية على الخير والعفاف والطهر.. وكذلك المرأة المسلمة منهية عن النظر إلى عورة المرأة ـ حياءً وخشية من الله.

فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد».[٣]

إن الحياء من الله تعالى، وإذا كان الإنسان يستحيى من الناس أن يروه بقبيح أو منكر. وإن من استحيا أن يرى بقبيح أو منكر كان مدعاة له أن يكون «حياؤه من ربه أشد، فلا

---

(١) دكتور يوسف القرضاوى: الإيمان والحياة ـ الطبعة السابعة ـ مكتبة وهبه ـ القاهرة ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م، ص٦.
(٢) المرجع السابق، ص١٦.
(٣) مختصر صحيح مسلم: كتاب الغسل ـ باب النهى عن النظر إلى عورة الرجل والمرأة ـ الحديث رقم١٥٩، ص٥١.

يضيع فريضة، ولا يرتكب خطيئة لأن المؤمن يعلم بأن الله يرى كل ما يفعله».(١)

إن ثمرة الحياء ألا يبيح الرجل لنفسه النظر إلى عورة الرجل، وكذلك المرأة. إذ لا يجتمع حياء وفحش أو تفحش في وقت واحد، ولا في شيء واحد، إنهما ضدان متنافران، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه».(٢)

ومن الحياء التستر عند الجماع، حياءً من الله تعالى، فقد قيل لرسول الله ـ ﷺ : «يا رسول الله: عوراتنا، ما نأتي منها وما نذر؟ قال: إحفظ عورتك إلا من زوجتك أو (مما) ملكت يمينك» فقال: الرجل يكون مع الرجل قال: «إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل» قلت: الرجل يكون خالياً، قال: «فالله أحق أن يستحيا منه».(٣)

وهكذا نرى أن الحياء قيمة من أفضل القيم الخلقية وأبرزها، والتي تحرص عليها السنة النبوية وتنفرد بها، وتتجلى في جانب التربية الجنسية أكثر مما تتجلى.. فالحياء من الإيمان، وقد صح عن رسول الله ـ ﷺ قوله: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستح فاصنع ما شئت».(٤)

ومن الحياء التستر وألا يرى الإنسان عريانا، فعن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان ينقل معهم الحجارة إلى الكعبة، وعليه إزاره، فقال له عمه العباس: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبك دون الحجارة، قال: فحله فجعله على منكبه، فسقط مغشياً عليه، فما رؤى بعد ذلك اليوم عريانا».(٥)

إن الحياء قيمة خلقية توجهنا إليها السنة النبوية المطهرة، وعن طريقها يفرق بين الإنسان والكائنات الأدنى منه، فهي قيمة إنسانية، وهي ميزان لخلق الإنسان وتصرفاته،

---

(١) محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم: الحياء خلق الإسلام ـ مرجع سابق، ص٤٨.
(٢) الامام البخاري، الأدب المفرد: باب الحياء ـ الحديث رقم ٦٠١، ص١٨٢.
(٣) سنن الترمذي: الجزء الثامن ـ باب ما جاء في حفظ العورة، الحديث رقم ٢٦٧٠، ص١٥.
أنظر: (أ) المرجع السابق ـ باب ما جاء في حفظ العورة، الحديث رقم ٢٧٩٥، ص٢٩.
(ب) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب التستر عند الجماع، الحديث رقم ١٩٢٠، ص٦١٨.
(٤) صحيح البخاري ـ الجزء السابع ـ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ـ استانبول ـ تركيا، ص١٠٠.
(٥) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب الغسل ـ باب التستر ولا يرى الإنسان عريانا ـ الحديث رقم ١٦٠، ص٥١.

فعن عتبة بن عبدالسلمى قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «إذا أتى أحدكم أهله، فليستتر ولا يتجرد تجرد العيرين»[1] أى الحمارين الوحشيين.

فبالحياء يصير الإنسان إنساناً ذا خلق رفيع، ومكانة عالية، وبدون الحياء ينحط إلى درجة الحمر الوحشية، التى لا تميز بين الفعل الحميد والفعل غير المقبول أو المتعارف عليه.

ومن الحياء ستر العورة، وهى عند الرجل من السرة إلى الركبتين، أما عند المرأة فكلها عورة إلا الوجه والكفان، وتوجه السنة النبوية إلى ستر العورة ـ وإن لم تكن السوءة. فعن أبى الزناد قال: «أخبرنى ابن جرهد عن أبيه أن النبى ـ ﷺ مر به وهو كاشف عن فخذه فقال النبى ـ ﷺ : «غط فخذك فإنها من العورة».[2]

إلى هذا الحد يكون اهتمام السنة النبوية بالتربية الجنسية الصحيحة ويكون التشديد على طلب العفاف والطهر حتى تسود الأخلاق الكريمة والسلوك القويمة بين المسلمين فى المجتمع المسلم.

وتضرب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها المثل العظيم فى الحياء والخلق الحسن، فى معاشرتها ـ رضى الله عنها ـ لرسول الله ـ ﷺ ـ وبذلك تكون المثل والقدوة للنساء فتقول: «ما نظرت أو ما رأيت فرج رسول الله ـ ﷺ ـ قط».[3]

إنه خلق بيت النبوة، الخلق الرفيع، والأدب النبوى الجم مضرب المثل فى الكمال البشرى والسلوك الإنسانى.

إنه خلق يحبه الله تعالى، ويحبه أصحابه، لكن الله تعالى يكره من المسلم التعدى والمغالاة والانحراف عن الفطرة والطبيعة السوية.. فحين يتعدى الإنسان أو ينحرف فإن الله تعالى يزجره، ويوجهه بشدة حتى يعود إلى طريق الخير، الذى فيه صلاحه وسعادته وخيره، فعن خزيمة بن ثابت قال: «قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إن الله لا يستحيى من الحق» ثلاث مرات «لا تأتو النساء فى أدبارهن».[4]

---

(١) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب التستر عند الجماع ـ الحديث رقم ١٩٢١، ص٦١٨.
(٢) سنن الترمذى ـ الجزء الثامن ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء أن الفخذ عورة، الحديث رقم ٢٧٩٩، ص٣١.
(٣) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب التستر عند الجماع ـ الحديث رقم ١٩٢٢، ص٦١٩.
(٤) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب النهى عن إتيان النساء فى أدبارهن ـ الحديث رقم ١٩٢٤، ص٦١٩.

إنه التوجيه الإلهى، الذى ينشد سلامة وسعادة هذا الإنسان، وتساميه عن عالم الحيوان.. إنه تشريع الله وحكمه لصالح المسلم. وما ذلك إلا لأن اتيان النساء فى أدبارهن إن هو إلا «اللوطية الصغرى» وهو حرام فى الكتاب والسنة وعند السلف والخلف.. لأنه مكان القذر وليس مكان الحرث والولد الذى أمر الله به.

إن الحياء يمنع المسلم من التعرى عند جماع الرجل زوجته فقد روى عن «نافع ابن عمر ـ أن رسول الله ـ ﷺ قال: «إياكم والتعرى فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضى الرجل إلى أهله فاستحيوهم وأكرموهم».(١)

وتوجه السنة النبوية المسلم التوجيه الصحيح وتربيه على مكارم الأخلاق التى تبدأ بالحياء كقيمة خلقية رفيعة، وهى بذلك تمنع المسلم من التعرى حتى فى الخلاء وحين يقضى حاجته لقول رسول الله ـ ﷺ: «من أتى الخلاء فليستتر، فإن لم يجد كثيباً من رجل فليمدده عليه، فإن الشيطان يلعب بمقاعد ابن آدم، ومن فعل فقد أحسن، ومن لا فلا حرج».(٢)

ولقد روى عن يعلى بن مرة عن أبيه قال: كنت مع النبى ـ ﷺ فى سفر، فأراد أن يقضى حاجته فقال لى: «إئت تلك الأشاءتين (قال وكيع: يعنى النخل الصغار) «فقل لهما: إن رسول الله ـ ﷺ يأمركما أن تجتمعا» فاجتمعتا، فأستتر بهما، فقضى حاجته، ثم قال: «إئتهما، فقل لهما لترجع كل واحدة منكما إلى مكانها» فقلت لهما فرجعتا».(٣)

وعن عبدالله بن جعفر قال: كان أحب ما استتر به النبى صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل».(٤)

وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر».(٥)

---

(١) سنن الترمذى ـ الجزء الثامن ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء فى الاستفسار عند الجماع ـ الحديث رقم ٢٨٠١، ص٣٢.

(٢) سنن ابن ماجه: الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب الارتياد للغائط أو البول ـ الحديث رقم ٣٣٧، ص١٢٢.

(٣) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ الحديث رقم ٣٣٩، ص١٢٢.

(٤) المرجع السابق، الحديث رقم ٣٤١، ص١٢٣.

(٥) سنن الترمذى ـ الجزء الثامن ـ باب ما جاء فى دخول الحمام ـ الحديث رقم ٢٨٠٢، ص٣٣.

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا يتناجى إثنان على غائطهما. ينظر كل واحد منهما إلى عورة صاحبه، فإن الله عزوجل يمقت على ذلك».[1]

إن الحياء باعتباره قيمة أخلاقية، هو بمثابة معيار وميزان توزن به أفعال المسلم، الصغير منها والكبير، والظاهر والمستتر، وقد جعله رسول الله - ﷺ كذلك، فقد روى عن النواس بن سمعان أن رجلاً سأل رسول الله - ﷺ عن البر والإثم؟ فقال النبى - ﷺ - : «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس».[2]

وهكذا تتجلى قيمة الحياء باعتبارها من أهم قيم التربية الخلقية فى مجال التربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة، وهذه القيمة الرفيعة هى التى تحرص عليها السنة النبوية المطهرة وتربى عليها المسلمين، بغية التنشئة الإسلامية السوية، والسنة النبوية إذ تحرص على قيم الحياء إنما تحرص على صلاح الفرد المسلم وصلاح مجتمعه فى آن واحد.

الحياء والتفقه فى الدين

الحياء لا يمنع من التفقه فى الدين والبحث والسؤال بهدف الاستفادة، فعن عائشة - رضى الله عنها أن أسماء - امرأة من الأنصار - يقال لها أسماء بنت شكل - سألت رسول الله - ﷺ عن الغسل من المحيض فقال، «تأخذ إحداكن ماءها وسدرها فتطهر، فتحسن الطهور أو تبلغ فى الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديداً، حتى يبلغ شئون رأسها، ثم تصب عليها الماء، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها، قالت أسماء: كيف أتطهر بها؟ قال: «سبحان الله! تطهرى بها» قالت عائشة «وكأنها تخفى ذلك» تتبعى بها أثر الدم. قالت: وسألته عن الغسل من الجنابة، فقال: «تأخذ إحداكن ماءها فتطهر. فتحسن الطهور، أو تبلغ فى الطهور، حتى تصب الماء على رأسها فتدلكه حتى تبلغ شئون رأسها ثم تفيض الماء على جسدها، فقالت عائشة: نعم النساء نساء الأنصار! لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين».[3]

---

(١) سنن ابن ماجه - الجزء الأول - كتاب الطهارة وسننها - باب النهى عن الاجتماع على الخلاء - الحديث رقم ٣٤٢، ص١٢٣.

(٢) سنن الترمذى - الجزء السابع - كتاب الزهد - باب ما جاء فى البر والإثم - الحديث رقم ٢٣٩٠، ص١١٩.

(٣) سنن ابن ماجه - الجزء الأول - كتاب الطهارة وسننها - باب فى الحائض وكيف تغتسل - الحديث رقم ٦٤٢، ص٢١٠، ص٢١١.

ولقد أتت فاطمة بنت أبى حبيش، رسول الله ـ ﷺ ـ فشكت إليه الدم ـ فقال رسول الله ـ ﷺ : «إنما ذلك عرق، فانظرى إذا أتى قرؤك فلا تصلى، فإذا مر القرء، فتطهرى ثم صلى ما بين القرء إلى القرء»(١) (القرء هو الحيض).

وعن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «جاءت فاطمة بنت أبى حبيش إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول الله، إنى امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ قال: «لا، إنما ذلك عرق. وليس بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة. وإذا أدبرت فاغسلى عنك الدم وصلى».(٢)

وفى رواية ـ قالت: «جاءت فاطمة بنت أبى حبيش إلى النبى ـ ﷺ ـ فقالت: يا رسول الله! إنى امرأة استحاض فلا أطهر. أفأدع الصلاة؟ قال: «لا. إنما ذلك عرق، وليس بالحيضة، اجتنبى الصلاة أيام محيضك، ثم اغتسلى وتوضئى لكل صلاة وإن قطر الدم على الحصير».(٣)

وهكذا لا يمنع الحياء النساء من التفقه فى الدين، ومن تشخيص الداء والدواء الفعلى والمناسب، فقد شخص رسول الله ـ ﷺ الداء لمن جاءت تستفتيه فى أمر الحيضة، ووصف لها الدواء، والطريقة التى يتم بها استخدامه، وكل ذلك ـ يعد تربية جنسية محمدية ـ لا تخرج عن حدود الأدب النبوى الرفيع، والتربية النبوية ـ بحسب الموقف التربوى.

فعن عمر بن طلحة عن أم حبيبة بنت جحش، قالت: «كنت استحاض حيضة كثيرة طويلة. قالت: فجئت إلى النبى ـ ﷺ ـ استفتيه وأخبره. قالت فوجدته عند أختى زينب ـ قالت: قلت: يا رسول الله! إن لى إليك حاجة. قال: «وما هى؟ أى هنتاه»، قلت: إنى استحاض حيضة طويلة كبيرة وقد منعتنى الصلاة والصوم، فما تأمرنى فيها؟ قال: «أنعت لك الكرسف فإنه يذهب الدم» قلت: هو أكثر فذكر نحو حديث شريك.(٤)

---

(١) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ الحديث رقم ٦٢٠، ص٢٠٣.
(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ٦٢١، ص٢٠٣.
(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ٦٢٤، ص٢٠٤.
(٤) المرجع السابق، الحديث رقم٦٢٢، ص٢٠٣.

(أنعت لك الكرسف أى أصف لك الكرسف، وهو القطن).

وهكذا يتبين أن الحياء لا يمنع من التفقه فى الدين، لأن الحياء من الدين بالضرورة، إنه من الإيمان.. وإن رسول الله - ﷺ - المربى الأعظم - وهو يشخص الداء، ويصف الدواء - إنما يشرع، ويضرب المثل والقدوة، ويبين عن طهارة الجنس فى الإسلام، وأن التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية، هى تربية إسلامية راقية، وطاهرة، فهى منهج حياة وطريقة سلوك وعمل.

إن رسول الله - ﷺ - الذى ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى «حين يصف الكرسف وهو القطن للمستحاضة حيضة كبيرة، التى ينزل منها الدم بكثرة، يقول لها عن الكرسف: ويزيد الأمر وضوحاً - لكل امرأة - تستخيض حيضة شديدة - أن تتبع المنهج النبوى فى التربية، فلقد روى عن عمران بن طلحة عن أمه حمنة بنت جحش، أنها استحاضت على عهد رسول الله - ﷺ - فأتت رسول الله - ﷺ فقالت: إنى استحضت حيضة منكرة شديدة، قال لها: «احتشى كرسفا» قالت له: إنه أشد من ذلك. إنى أثج ثجاً - قال: «تلجمى وتحيضى فى كل شهر فى علم الله ستة أيام أو سبعة أيام. ثم اغتسلى غسلا، فصلى وصومى ثلاثة وعشرين، أو أربعة وعشرين، وأخرى الظهر، وقدمى العصر، واغتسلى لهما غسلاً، وأخرى المغرب وعجلى العشاء، واغتسلى لهما غسلاً، وهذا أحب الأمرين إلى».[1]

إن الحياء قيمة خلقية تحرص عليها التربية الجنسية من خلال السنة النبوية وتربى عليها الأجيال المسلمة.. وتظهر هذه القيمة عند العذراء أكثر منها عند الثيب، فقد روى عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ : «الأيم أولى بنفسها من وليها والبكر تستأمر فى نفسها» قيل يا رسول الله: إن البكر تستحى أن تتكلم قال: «إذنها سكوتها».[2]

---

(١) سنن ابن ماجه، الجزء الأول - كتاب الطهارة وسننها - باب ما جاء فى البكر إذا ابتدئت مستحاضة أو كان لها أيام حيض فنسيتها - الحديث رقم ٦٢٧، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) سنن ابن ماجه - الجزء الأول - كتاب النكاح - باب استئمار البكر والثيب - الحديث رقم ١٨٧٠، ص٦٠١.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ قال: «لا تنكح الثيب حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن، وإذنها الصموت»[1] والصموت بمعنى السكوت لفظاً ومعنى.

وفى رواية عنه ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن «قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت».[2]

إن من ثمرات الحياء عند البكر ـ حين تستأذن ـ صموتها، وهو دليل على رضاها. لكنه قيمة عظيمة تتربى عليها وتنشأ وتتمشى مع طبيعتها البشرية، فالثيب تعرب عن نفسها ـ لما لها من خبرة سابقة مرت بها وتجربة، أما البكر فرضاها صمتها، وجمالها حياؤها.. فقد قال رسول الله ﷺ: «الثيب تعرب عن نفسها، والبكر رضاها صمتها».[3]

إن الحياء جمال وعفة وزينة، يزيد الشىء بهاءً ويزيد المرأة المسلمة حسناً وطهارة وشرفاً، ولا يزيد من يتحلى به إلا قربا من الله تعالى، وحبا لرسوله ـ ﷺ .. وعلى ذلك تعتبر قيمة الحياء، فى التربية الخلقية من خلال السنة النبوية من أفضل القيم وأهمها فى الإسلام (قرآن وسنة) ومرجع ذلك إلى أن الحياء من صفاته وخصائصه ما يلى[4]:

١ ـ مفتاح كل خير وبركة.

٢ ـ من خصائص الفطرة الإنسانية السليمة.

٣ ـ من الإيمان.

٤ ـ زينة وبهاء وجمال (للرجل والمرأة على السواء).

٥ ـ خلق يحبه الله ويرضاه لعباده.

٦ ـ من صفات الله تعالى.

٧ ـ شريعة جميع الأنبياء والمرسلين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

---

(١) المرجع السابق، الحديث رقم ١٨٧١، ص٦٠٢.

(٢) مختصر صحيح مسلم: كتاب النكاح ـ باب إستئمار الأيم والبكر فى النكاح ـ الحديث رقم ٨٠٢، ص٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب استئمار البكر والثيب ـ الحديث رقم ١٨٧٢، ص٦٠٢.

(٤) محمد بن أحمد بن اسماعيل المقدم: الحياء خلق الإسلام ـ مرجع سابق، ص٦٦.

٨ ـ من خلق الإسلام الحنيف.

٩ ـ منه الجبلى ومنه الكسى (المطبوع والمصنوع) (أو الدهبى والكسبى).

١٠ ـ يكتسب بحسب البيئة (المؤثرات الطبيعية والبشرية).

الحياء قيمة تربوية خلقية أصيلة فى الدين الإسلامى، لا تمنع المرء من التفقه فى دينه، ومعرفة أسراره، وتعلم سلوكياته ولا يزال المرء يتعلم ويتفقه مادام حياً.. وصدق الله العظيم حيث قال: «وفوق كل ذى علم عليم».[١]

إن الحق أحق أن يتبع، ولا يمنع الحياء معرفة الحق، واتباعه ومعرفة الباطل من أجل اجتنابه، فعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «جاءت أم سليم إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقالت يا رسول الله: إن الله لا يستحى من الحق، فهل على المرأة غسل إذا إحتلمت؟ فقال: «نعم إذا رأت الماء».[٢]

وفى رواية عن زينب بنت أم سلمة، عن أمها أم سلمة، قالت: جاءت أم سليم إلى النبى ـ ﷺ فسألته عن المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل؟ قال: «نعم إذا رأت الماء فلتغتسل» فقلت: فضحت النساء. وهل تحتلم المرأة؟ قال النبى ـ ﷺ : «تربت يمينك. فبم يشبهها ولدها إذاً؟».[٣]

وهكذا رأينا كيف كانت النساء المسلمات حريصات على التفقه فى الدين، فكن يسألن رسول الله ـ ﷺ ـ ويستفتينه فيما يخصهن من القضايا والأمور المتعلقة بفقه النساء والتى تدخل ضمن التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية. ولم يمنع الحياء النساء من التفقه فى أمور دينهن، لأنه من الإيمان ـ وكذلك الحال، كان من الرجال من يستفتى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى أمور تخص الرجال وتدخل ضمن إطار التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية فعن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ قال: اختلف فى ذلك رهط من

(١) قرآن كريم: سورة يوسف، من الآية رقم ٧٦.

(٢) صحيح البخارى حـ٧ ـ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ـ استانبول ـ تركيا، ص١٠٠.

(٣) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل، الحديث رقم ٦٠٠، ص١٩٧.

المهاجرين والأنصار: لا يجب الغسل إلا من الدفق، أو من الماء، وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل، قال: فقال أبو موسى: فأنا أشفيكم من ذلك. فقمت فاستأذنت على عائشة، فأذن لى، فقلت لها: يا أماه أو يا أم المؤمنين: إنى أريد أن اسألك عن شىء، وإنى استحييك، فقالت: لا تستحى أن تسألنى عما كنت سائلاً عنه أمك التى ولدتك، فإنما أنا أمك. قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت. قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل».(١)

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «إذا إلتقى الختانان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله ـ ﷺ ـ فاغتسلنا».(٢)

وصح عنها ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللاً ولم ير أنه احتلم اغتسل، وإذا رأى أنه قد احتلم ولم ير بللاً فلا غسل عليه».(٣)

٥ ـ الاستئذان:

اشتملت السنة النبوية على جميع القيم الخلقية الإيمانية التى من شأنها تنظيم الحياة الإسلامية على الطهر والعفاف وقيامها على أساس من التقى، ومن هذه القيم التى تتعلق بالتربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة، الاستئذان.. باعتباره قيمة من القيم المرتبطة بالحياء، والتى تسبق قيمة خلقية أخرى هى غض البصر حتى قيل «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر».

الاستئذان قيمة من القيم التربوية التى حثت عليها السنة النبوية، وهى قيمة تأخذ بها الجماعة المسلمة وتنتظم بها علاقاتها وتربى عليها صغارها لينشأوا على الفضيلة، وحب كل ما يتعلق بها وما يوصل إليها، وينبذوا الرذيلة والفحش والتفحش وما يتعلق به، وما يؤدى إليه..

---

(١) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب الغسل ـ باب إنما الماء من الماء، الحديث رقم ١٥٢، ص٤٩.

(٢) سنن ابن ماجه: الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب ما جاء فى وجوب الغسل إذا إلتقى الختانان ـ الحديث رقم ٦٠٨، ص١٩٩.

(٣) المرجع السابق ـ باب من احتلم ولم ير بللاً ـ الحديث رقم ٦١٢، ص٢٠٠.

وقيمة الاستئذان ـ من أسباب إستقامة المجتمع المسلم، وسيره على المنهج القويم، وهو فى الأسرة، تعد علامة على التربية الإسلامية الصالحة، الآخذة بالتربية النبوية وقيمها الإيمانية، التى تهدف إلى تربية المؤمنين تربية متميزة، ومن خلال هذه التربية وعن طريقها تبنى أمة محمدية سليمة الصدور، مهذبة السلوك، رقيقة المشاعر، طاهرة السرائر، نظيفة التصورات، سليمة الأعصاب، خالية من الأمراض النفسية والقلبية..

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، ثلاث عورات لكم..».(١)

إن هذه الآية القرآنية توجه المؤمنين أن يربوا أولادهم ـ الذكور والإناث ـ على التربية الإسلامية النظيفة، وأن يلتزموا بآداب القرآن الكريم، وفى تفسير هذه الآية الكريمة يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى: «غاية الحكم عندنا أن أطفال البيت ـ الذكور منهم والإناث ـ مالم يبلغوا سنا يثور فيها الشعور بالعلائق الجنسية فيهم، فعليهم أن يلتزموا القاعدة المبينة فى هذه الآية».(٢)

إن الله تعالى يربى عباده على الطاعة، المبنية على الطهارة والعفة ويربى بذلك المؤمنون أولادهم على هذه القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية ليتكون المجتمع الطاهر.. ولقد ذكر الله تعالى «ثلاث عورات» وسماها «عورات» «لانكشاف العورات فيها وفى هذه الأوقات الثلاثة لابد أن يستأذن الخدم وأن يستأذن الصغار المميزون الذين لم يبلغوا الحلم، كى لا تقع أنظارهم على عورات أهليهم، وهو أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية.. إن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها، وقد تصيبهم أمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها».(٣)

---

(١) قرآن كريم ـ سورة النور، من الآية ٥٨.

(٢) أبو الأعلى المودوى: تفسير سورة النور، مكتبة ابن قتيبة، الكويت ـ د. ت، ص٢٢٢.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ المجلد الرابع ـ مرجع سابق، ص٢٥٣٢.

وتحدد الآية الكريمة الأوقات الثلاثة التى «يختل فيها التستر عادة ويكون النوم فيها مع الأهل غالباً، فالهجوم فيها على أهل البيت مما تأباه النفوس وتكرهه أشد الكراهة» ولذلك جاءت الآية الكريمة بالحكم الواضح والذى إن يعمل به الآباء والأمهات ويتربوا على هديه ويربوا أولادهم عليه، يفوزوا فى الدنيا بالحياة النظيفة العفيفة الطاهرة التقية النقية، ويفوزوا فى الآخرة برضوان الله ونعيمه المقيم.

قال تعالى: «وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم»[١] يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودى فى تفسير هذه الآية القرآنية الكريمة: إن قول الله تعالى ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾[٢] يحتمل معنيين:

الأول: الأطفال الصغار الذين لم يدخلوا فى حد العقل والتمييز.

والثانى: الأطفال الصغار الذين لم يدخلوا فى سن يحتلم فيها البالغون.

ومن هذا فقد قرر الفقهاء واتفقوا على أن الاحتلام هو بدء البلوغ فى أمر الأولاد. إلا أن المعنى الأول هو أرجح عندنا.[٣]

وإذا كان الحلم يعنى وقت البلوغ والاحتلام، والمراد، الأطفال الذين بلغوا حد العقل والتمييز، إذ أن هناك من الأطفال - بنين وبنات - «لا تظهر فى أجسادهم هذه التغييرات لسبب من الأسباب، فيمكن أن يقدر لهم العمر الزمنى للبلوغ وهو سن الخامسة عشر سنة على أرجح الأقوال».[٤]

ولقد ذكرت السنة النبوية ما يؤيد ويؤكد هذا القول، وهو تحديد سن بلوغ الشاب - الذكر - الذى يقدر بخمس عشرة سنة، فعن نافع عن ابن عمر قال: «عرضت على رسول الله - ﷺ فى جيش وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يقبلنى، فعرضت عليه من قابل فى جيش وأنا ابن خمس عشرة فقبلنى».[٥]

---

(١) الدكتور عبدالله محمود شحاته: تفسير سورة النور - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٣٣.

(٢) قرآن كريم - سورة النور، من الآية ٥٩.

(٣) أبو الأعلى المودودى: تفسير سورة النور - مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٤) الدكتور عبدالله محمود شحاته: تفسير سورة النور - مرجع سابق، ص٢٣٧.

(٥) سنن الترمذى - الجزء الخامس - كتاب الأحكام - باب ما جاء فى حد بلوغ الرجل والمرأة - الحديث رقم ١٣٦١، ص٤٢.

انظر: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار حـ٥ باب علامات البلوغ - الحديث رقم ٢٣٠٦، ص٢٦٤.

وبناء على هذا الحكم يكون العمل عند أهل العلم، وبه يقول سفيان الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق إذ يرون أن الغلام إذا استكمل خمس عشرة سنة فحكمه حكم الرجال، وإن احتلم قبل خمس عشرة سنة فحكمه حكم الرجال أيضاً، ولقد قال أحمد وإسحاق:

«البلوغ ثلاثة منازل: بلوغ خمس عشرة، أو الاحتلام، فإن لم يعرف سنه ولا احتلامه. فالإنبات «يعنى العانة».[(١)]

إنه إذا بلغ الطفل الحلم، وانتقل من مرحلة الطفولة إلى بداية مرحلة الشباب. والرجولة وذلك بالاحتلام، أو بلوغه خمس عشرة سنة، أو بالإنبات «يعنى العانة»، وجب عليه أن يستأذن فى الدخول ـ كما استأذن الذين من قبلهم من الكبار، فعن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «الاستئذان ثلاث «فإن أذن لك. وإلا فارجع»[(٢)] متفق عليه.

وعن سهل بن سعد الساعدى ـ رضى الله عنهما ـ «أن رجلاً اطلع فى حجر فى باب رسول الله ـ ﷺ ـ ومع رسول الله ـ ﷺ ـ مدرى يحك بها رأسه، فلما رآه رسول الله ـ ﷺ ، قال: «لو أعلم أنك تنظرنى لطعنت به فى عينيك» وقال رسول الله ـ ﷺ : «إنما جعل الأذن من أجل البصر»[(٣)] وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه: ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لو أن رجلا اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح».[(٤)]

الاستئذان من الأدب النبوى الرفيع، وقيمة من القيم الخلقية فى مجال التربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة، حثت عليها فى كثير من الأحاديث، وذلك لحرصها على تنشئة الشباب المسلم على العفة منذ الطفولة ودخولهم مرحلة الشباب وذلك أخذاً بأسباب الوقاية قبل العلاج.. حتى يشبوا على الكمال والطهر.

---

(١) سنن الترمذى، الجزء الخامس، مرجع سابق، ص٤٣.

(٢) رياض الصالحين: باب الاستئذان وآدابه ـ الحديث رقم ٨٦٨، ص٤٤٥.

(٣) مختصر صحيح مسلم: كتاب الأدب ـ باب النهى عن الاطلاع عند الاستئذان ـ الحديث رقم ١٤٢٤، ص٣٧٠.

(٤) المرجع السابق، كتاب الأدب ـ باب من اطلع فى بيت قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه ـ الحديث رقم ١٤٢٥، ص٣٧٠.

ولقد شرع الاستئذان على كل فرد حتى على المحارم لئلا تكون منكشفة العورة، فيرى منها مالا يجب أن يرى، وتكون نتيجة ذلك وخيمة، أى أن الاستئذان قيمة خلقية جعلت لحماية الفرد وحماية الجماعة المسلمة أيضاً، فكونها حماية للفرد تعنى أنها تعوده على الحياء، وعدم النظر إلى عورات الآخرين حتى ولو كانوا أقرب الناس إليه. وذلك لكون النظر سهم من سهام إبليس، وهو مدخل من مداخله، أما كون الاستئذان حماية للجماعة المسلمة، فذلك يهدف إلى إشاعة الأمن والطهارة والآداب الإسلامية والقيم الخلقية الإيمانية التى يحرص عليها الإسلام، فتسود المجتمع، فترتقى أخلاقه وتطيب أعراقه، وتنتفى الجريمة.

إن المسلم مأمور بغض بصره عن كل محرم، مخافة الفتنة وبعداً عن كل أسبابها من قريب أو من بعيد، ولقد «أردف رسول الله - ﷺ - الفضل بن عباس يوم النحر. على عجز راحلته، وكان الفضل رجلاً وضيئاً، فوقف النبى - ﷺ - للناس يفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم، وضيئة تستفتى رسول الله - ﷺ - فطفق الفضل ينظر إليها، فأخلف بيده - فأخذ بذقن الفضل فعدل وجهه عن النظر إليها».[1]

والاستئذان يكون على المحارم وغير المحارم، وذلك لأن العين تزنى وزنا العين النظر، فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه».[2]

ولقد شرع الاستئذان على كل مسلم - بالغ - عاقل - على محارمه وغير محارمه وذلك لكون الاستئذان قيمة خلقية إلهية المصدر، والله أعلم بطبيعة النفس البشرية وما تشتهيه، وما فيه داؤها ودواؤها، وإن الأخذ بهذه القيمة يعد نوعاً من الضمان أو الأمان النفسى، والبعد عن الإثم أو المعصية، وسداً لكل الأبواب الموصلة إليه، ومخافة أن يكون

---

(١) صحيح البخارى - الجزء السابع - كتاب الاستئذان، ص١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٠.

المرئى فى وضع غير لائق، أو لا يجوز للفرد النظر إليه - وقتها - أو منكشف العورة - فيتأذى الرائى والمرئى - فى نفس الوقت، فعن أشعث عن كردوس عن عبدالله قال: «يستأذن الرجل على أبيه، وأمه، وأخيه، وأخته».[1]

نعم يستأذن الرجل على أمه، فعن علقمة قال: «جاء رجل إلى عبدالله قال: أأستأذن على أمى؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها».[2]

و«عن أبى إسحاق قال: سمعت مسلم بن نذير يقول: سأل رجل حذيفة فقال: أستأذن على أمى؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره».[3]

وعن عطاء قال: «سألت ابن عباس فقلت: أستأذن على أختى فقال نعم. فأعدت فقلت: أختان فى حجرى، وأنا أمونهما وأنفق عليهما، أستأذن عليهما؟ قال: نعم. أتحب أن تراهما عريانيين؟ ثم قرأ (النور/٥٨) «يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم» قال فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا فى هذه العورات الثلاث، قال (النور/٥٩) «وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم». قال ابن عباس: فالإذن واجب، زاد بن جريج: على الناس كلهم.

إن الإستئذان قيمة خلقية من قيم السنة النبوية المطهرة - وهى تدخله فى مجال التربية الجنسية على وجه الخصوص، يتشربها الفرد وينشأ عليها وإذا كان الاستئذان واجب، وفى حق كل الناس حتى الأقارب من أم وأب وأخ وأخت.. كان ذلك أولى فى حق الأباعد، والاستئذان أولاً ثم السماح بالدخول.. فإذا سمح بالدخول وجب على الداخل أن يحيى الداخل عليه بتحية الإسلام - وهى السلام - تحية أهل الجنة، فالسلام قبل الكلام، فإذا لم يسلم وجب إرجاعه ورده من حيث أتى، فيخرج ثم يرجع مرة ثانية ويلقى السلام،

(١) الامام البخارى، الأدب المفرد - باب يستأذن على أخيه - الحديث رقم ١٠٦٤، ص٣١٢.
(٢) المرجع السابق، باب يستأذن على أمه - الحديث رقم ١٠٥٩، ص٣١١.
(٣) المرجع السابق - باب يستأذن على أمه - الحديث رقم ١٠٦٠، ص٣١١.

فقد روى عن «كلدة بن الحنبل ـ رضى الله عنه قال: أتيت النبى ـ ﷺ ـ فدخلت عليه ولم أسلم، فقال النبى ـ ﷺ : «إرجع فقل: السلام عليكم، أأدخل؟».[١]

وهكذا يتضح من خلال ما سبق أن الاستئذان مرتبط بالتربية الجنسية، فالرجال مأمورون بالاستئذان، والأطفال إذا بلغوا الحلم أو دخلوا فى مرحلة المراهقة، وبلغوا مبلغ الرجال، وجب عليهم الاستئذان أيضا فعن ابن عمر أنه كان إذا بلغ بعض ولده الحلم عزله، فلم يدخل عليه إلا بإذن».[٢]

وكما يستأذن الرجل على أمه، وأخته، فهو يستأذن أيضاً على ولده، وذلك ليعوده الأدب النبوى ويتربى على قيم التربية النبوية الصحيحة، فيتمثلها سلوكاً بعد ذلك، فعن أشعث عن أبى الزبير عن جابر قال: «يستأذن الرجل على ولده وأمه، وإن كانت عجوزا. وأخيه، وأخته، وأبيه».[٣]

٦ ـ غض البصر:

تبدأ التربية الجنسية فى السنة النبوية أول ما تبدأ خطواتها بغض البصر عن كل محرم، حياءً من الله تعالى وخشية له، سراً وعلانية، وذلك لأن النظرة المحرمة، والتى تؤدى بصاحبها إلى فتح باب الشهوة، وتحريك الساكن فى الإنسان، إن هى إلا سهم من سهام إبليس، ومصيدة من مصائده، وحبل من حبائله، وعمل من عمل الشيطان ووسوسته، لا يرضى عنها الله لعباده الطاهرين التوابين، إن هذه النظرة مفتاح الرغبة المحمومة غير المسئولة وهى بداية لسلوك طريق غير محمود العواقب «وقد جعل الله سبحانه وتعالى العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره، أطلق القلب شهوته».[٤]

---

(١) رواه أبو داود والترمذى، وقال حديث حسن.
انظر: رياض الصالحين ـ الباب الأربعون بعد المائة ـ فى الاستئذان وآدابه ـ الحديث رقم ٨٧١، ص٤٤٦.
(٢) الأدب المفرد: باب قول الله (النور/ ٥٩) وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم ـ الحديث رقم ١٠٥٨، ص٣١٠.
(٣) المرجع السابق، باب يستأذن على أبيه وولده ـ الحديث رقم ١٠٦٢، ص٣١١.
(٤) ابن قيم الجوزية: إحكام النظر فى أحكام غض البصر ـ تحقيق أبى حفص سيد بن ابراهيم الصادق، مكتبة الوعى الإسلامى ـ دمشق ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م، ص٨.

ولقد حفل القرآن الكريم بآيات بينات كثيرة يحض فيها على غض البصر، درءاً للشبهات وحفاظا على طهارة النفوس والقلوب مما يعتورها ويثيرها أو يدفعها نحو الرذائل. يقول الله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون».[١]

إباحة النظر فى حدود المصلحة الراجحة

حفلت السنة النبوية بأحاديث كثيرة ترشد المسلم إلى أن يغض بصره طاعة وخوفا من الله وخشية لجلاله، إلا أن يكون النظر لمصلحة شرعية.. إذ أن كل ما كان سبباً للفتنة فإنه لا يجوز، فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدها إذا لم يعارضها مصلحة راجحة، ولهذا كان النظر الذى يفضى إلى الفتنة محرماً، إلا إذا كان لمصلحة راجحة، مثل نظر الخاطب، والطبيب، فإنه يباح النظر للحاجة، لكن بشرط ألا يكون هذا النظر مصحوباً بشهوة[٢] وهكذا يحدد الشرع الحنيف ويقيد النظر بحدوده وتشريعه، حفاظاً على طهارة الفرد وسلامة المجتمع من الأمراض الأخلاقية التى بسببها تضيع الأنساب وتتفكك العرى والوشائج التى يحرص الإسلام عليها.

فقد روى «عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ـ ﷺ فقال: إنى تزوجت امرأة من الأنصار فقال له النبى ـ ﷺ: «هل نظرت إليها، فإن فى عيون الأنصار شيئاً؟» قال: قد نظرت إليها...».[٣]

وعن محمد بن سلمة، قال: خطبت امرأة، فجعلت أتخبأ لها، حتى نظرت إليها فى نخل لها. فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله ـ ﷺ ؟ فقال: سمعت رسول الله ـ ﷺ يقول: «إذا ألقى الله فى قلب امرىء خطبة امرأة، فلا بأس أن ينظر إليها».[٤]

---

(١) قرآن كريم: سورة النور، الآية رقم ٣٠.

(٢) ابن قيم الجوزية: إحكام النظر فى أحكام غض البصر ـ مرجع سابق، ص٨.

(٣) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب النكاح ـ باب النظر إلى المرأة لمن يريد التزوج منها ـ الحديث رقم ٨٠١. ص٢٠٨.

(٤) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ، باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها ـ الحديث رقم ١٨٦٤، ص٥٩٩.

وعن أنس بن مالك، أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج امرأة. فقال له النبى ـ ﷺ ـ: «اذهب فانظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» ففعل فتزوجها. فذكر من موافقتها.(١)

وعن المغيرة بن شعبة، قال: أتيت النبى ـ ﷺ فذكرت له امرأة أخطبها. فقال: «اذهب فانظر إليها. فإنه أجدر أن يؤدم بينكما» فأتيت امرأة من الأنصار. فخطبتها إلى أبويها وأخبرتهما بقول النبى ـ ﷺ ـ فكأنما كرها ذلك. قال فسمعت ذلك المرأة وهى فى خدرها، فقالت: إن كان رسول الله ـ ﷺ ـ أمرك أن تنظر، فانظر، وإلا فأنشدك كأنها أعظمت ذلك. قال: فنظرت إليها فتزوجتها. فذكر من موافقتها».(٢)

غض البصر من حق الطريق

إن غض البصر من حق الطريق على المسلم، وهو مقدم على كل ما سواه من الأمور المنهى عنها فيما يخص حق الطريق، وهو من القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى التربية النبوية من خلال السنة المطهرة.

لقد ربى رسول الله ـ ﷺ أصحابه على القيم الخلقية الربانية ومكارم الأخلاق، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «إياكم والجلوس فى الطرقات» قالوا: يا رسول الله مالنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها، فقال رسول الله ـ ﷺ «أما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غض البصر، وكف الأذى، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر».(٣)

وهكذا نهت السنة النبوية المطهرة عن الجلوس فى الطرقات، وشغل الطريق فيما لا ضرورة ولا فائدة منه، فإن كان لا محالة، أى أن هناك ضرورة وحاجة مشروعة، وملحة للجلوس، فليتم ذلك فى حدود الشروط التى شرعها الدين الإسلامى، وبينتها السنة النبوية المطهرة.

وتؤكد السنة النبوية المطهرة فيما تؤكده على غض البصر، إذ يتقدم هذا النهى على كل أمر ذى بال منهى عنه، فى الحديث النبوى الذى يروى عن أبى طلحة زيد بن سهل.

---

(١) المرجع السابق، الحديث رقم ١٨١٥، ص٥٩٩، ٦٠٠.

(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ١٨٦٦، ص٦٠٠.

(٣) الامام البخارى، الأدب المفرد: باب مجالس الصعدات. الحديث رقم ١١٥٠، ص٣٣٥.

رضى الله عنه ـ قال: «كنا قعوداً بالأفنية نتحدث فجاء رسول الله ـ ﷺ ـ فقام علينا. فقال: «ما لكم ولمجالس الصعدات! اجتنبوا مجالس الصعدات» فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدث، قال: «إما لا فأدوا حقها: غض البصر، ورد السلام، وحسن الكلام»[1] «رواه مسلم» «الصعدات بضم الصاد والعين يعنى الطرقات».

من القيم الخلقية التى تؤكد عليها غض البصر عن المحارم، وذلك البصر مطية الخطأ، وإن النظر سهم من سهام إبليس، ومدخل من مداخله إلى كل منكر من القول والفعل. فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ نهى عن المجالس بالصعدات. فقالوا يا رسول الله: ليشق علينا الجلوس فى بيوتنا، قال: «فإن جلستم فأعطوا المجالس حقها»، قالوا: وما حقها يا رسول الله؟ قال: «إدلال السائل، ورد السلام، وغض الأبصار، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».[2]

يتضح مما سبق أن السنة النبوية ـ وهى منهج حياة ـ ترسم للمسلم الخطوط الرئيسية التى ينبغى أن يتبعها ويلتزم بها فى سلوكه وتصرفاته، هذه الخطوط هى مجموعة القيم الخلقية التى تكون نظاماً متكاملاً للتعامل والتعايش فى المجتمع المسلم، لإشاعة الأمن والأمان والمعروف، نبذاً للمنكر ودرءاً للمفاسد والمنكرات.. ويتم ذلك كله بدءاً بغض النظر عن المحرمات.

غض البصر دعوة للرجال والنساء

إن غض البصر دعوة للجميع، الرجال والنساء، ولا تقتصر على جنس دون جنس أو ذكر دون أنثى، إنها دعوة عامة ودليل ذلك ما حدثت به أم سلمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أنها كانت عند رسول الله ـ ﷺ ، وميمونة، قالت: «فبينا نحن عنده، أقبل ابن أم مكتوم، فدخل عليه، وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «احتجبا عنه» فقلت يا رسول الله: أليس هو أعمى؟ لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ـ ﷺ : «أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه؟».[3]

---

(١) رياض الصالحين ـ الأمور المنهى عنها ـ باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية ـ الحديث رقم ١٦٢٢، ص٧٢٣.

(٢) الإمام البخارى، الأدب المفرد ـ باب مجالس الصعدات ـ الحديث رقم ١١٤٩، ص٣٣٥.

(٣) سنن الترمذى: الجزء الثامن ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء فى احتجاب النساء عن الرجال ـ الحديث رقم ٢٧٧٩، ص١٩.

لقد حض القرآن الكريم على غض البصر من جانب الرجل وأيضاً من جانب المرأة ويتضح ذلك من خلال قول الله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن...».(١)

إن غض البصر دعوة للمسلم والمسلمة وهى وسيلة ووقاية لحفظ الفروج وتطهير القلوب ومرضاة لله علام الغيوب.. وإن أكثر الشرور مبدؤها النظر.

وهكذا يتساوى الأمر للنساء والرجال على حد سواء فى غض البصر، وتحريم النظر إلى كل محرم، حفاظاً على طهارة المجتمع المسلم، من كل خلل أو فحش.

إن غض البصر يمثل الجانب الوقائى للتربية الجنسية - فى السنة النبوية - ومن قبل ذلك فى القرآن الكريم - وذلك حفظا للفروج وطهارة للقلوب، وبقاءاً على نظافة وطهر وعفاف المجتمع المسلم.

فوائد غض البصر

جاء فى صحيح مسلم فى كتاب الأدب، تحت باب «فى نظرة الفجاءة وصرف النظر عنها» عن جرير بن عبدالله - رضى الله عنه - قال: سألت رسول الله - ﷺ عن نظرة الفجاءة؟ فأمرنى أن أصرف بصرى».(٢)

كما ذكر فى نفس المعنى فى السنن أن رسول الله - ﷺ قال لعلى - بن أبى طالب رضى الله عنه «يا على لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة».(٣)

إن النظرة الأولى تأتى فجأة دون تعمد أو قصد، أما الثانية فلا تكون كذلك.

وتعد النظرة المتعمدة أو المقصودة سهماً من سهام إبليس، أما النظرة المفاجئة أو نظرة الفجاءة - غير المتعمدة، تأتى عفواً ودون ترتيب مسبق أو قصد أو تعمد، ورغم ذلك فإن

---

(١) قرآن كريم: سورة النور، الآيتان ٣٠، ٣١.

(٢) مختصر صحيح مسلم: كتاب الأدب - باب فى نظرة الفجاءة وصرف البصر عنها - الحديث رقم ١٤٢٦، ص٣٧٠.

(٣) سنن الترمذى: الجزء الثامن - كتاب الأدب - باب ما جاء فى نظرة المفاجاة - الحديث رقم ٢٧٧٧، ص١٨.

السنة النبوية تربى المسلم على الحذر من الوقوع فى الخطأ، وتعوده على العفة والخلق الإسلامى النبيل، وتجعل بينه وبين الرذيلة حجاباً ووقاية دائمة، فتبدأ بغض البصر ومنع النظر إلى كل منكر ومحرم، ولقد وجهت السنة النبوية الشباب ودعتهم إلى غض أبصارهم وحفظ فروجهم، سداً لأبواب الشر، وبعداً عن الفحش والتفحش وما ذلك إلا لأن النظر «باب إلى كثير من الشرور وهو بريد الزنا، ورائد الفجور، ولوقاية الإنسان مما قد يحرك غرائزه ويستثير شهواته، أمرت السنة بغض البصر، وتجنب تتبع عورات الناس، خاصة إذا علمنا أن النظرة هى النافذة التى تطل من خلالها عوامل الرغبة والميل، والبصر مرآة القلب، فإذا غض الإنسان بصره عف قلبه»[1] ومتى عف قلبه سكنت جوارحه.

ولغض البصر ثلاث فوائد يجنيها المسلم، إن التزم وغض بصره عن محاسن امرأة لا تحل له، وهذه الفوائد كالآتى:

١ ـ يورث الله قلبه حلاوة عباده، يجدها إلى يوم القيامة.

٢ ـ يورثه الله نور القلب والفراسة.

٣ ـ يجعل الله له سلطان النصرة على سلطان الحجة.[2]

٧ ـ حفظ السر:

من أسباب السعادة الزوجية، حفظ السر بين الزوجين ويعد حفظ السر من القيم الخلقية التى تحرص عليها التربية الجنسية من خلال السنة النبوية المطهرة.. وهى علامة من علامات الإيمان ودالة من دلالات الوفاء بالعهد بينهما.

لقول رسول الله ـ ﷺ : «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته، وتفضى إليه، ثم ينشر سرها».[3]

---

(١) دكتور بدير محمد بدير: منهج السنة النبوية فى تربية الانسان ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الدعوة الإسلامية ـ المنصورة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، ص١١٣.

(٢) ابن تيميه: الفتاوى الكبرى ـ المجلد الأول، ص٥٢.

(٣) مختصر صحيح مسلم: كتاب النكاح ـ باب فى نشر سر المرأة، الحديث رقم٨٣١، ص٢١٥.

إن إفضـاء الزوج إلى امرأته، كناية عن الجماع، وأصل الكلمة فى اللغة، يقال أفضى فلان إلى فلان بالسر أى أعلمه به، وأفضى الرجل إلى المرأة أى خلا بها[1]، وقد جاء هذا المعنى فى قوله تعالى: «وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض».[2]

إن التربية النبوية تحث الزوجين على أن يحفظ كلاهما سر صاحبه، ولا ينشر خبره، إذ أن أسرار الجماع ليس من حق غيرهما، وليس من حق واحد منهما أن ينشر هذا السر ويبيحه، انه من الأمور المنهى عنها شرعاً، وهى تستوجب وعيد الله وعقابه فى الآخرة.

وهى إن كانت سببا فى النزاع والخلافات الزوجية، وتصدع العلاقات بينهما فى حياتهما الأسرية، فإنها تستوجب وعيد الله تعالى وعقابه فى الآخرة.

وتعد قيمة حفظ سر الحياة الزوجية، من القيم الخلقية التى تدعو إليها السنة النبوية، وتبقى عليها بقاءها على الحياة الزوجية سعيدة وهادئة مطمئنة.. إن كشف السر وإفشائه - من الطرفين - الزوجين - أو أحدهما - يجر على الأسرة القلاقل والمشاكل والتفكك الأسرى.

إن المرأة مأمورة ألا تفشى سر زوجها إلى صويحباتها، وألا تفشى سر صويحباتها إلى زوجها، بأن تصفهن له وكأنه ينظر إلى إحداهن، فلربما يشتهيها، وربما أدى ذلك إلى دمار الأسرة وخرابها وذلك بأن يطلق الزوج امرأته - الواصفة - ويتزوج غيرها - الموصوفة - أو يفتتن بها، وفى هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ:

«لا تباشر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها، كأنما ينظر إليها».[3]

أى إن المرأة إذا نظرت إلى المرأة أو مست بشرتها فتعرفت من خلال ذلك على نعومتها وتعرفت على محاسنها ومفاتنها، وجب عليها ألا تصف ذلك لزوجها مخافة الفتنة والوقوع فى المحرم.. وحفاظا على بقاء عش الزوجية سعيداً آمنا من أجل ذلك

---

(١) المعجم الوسيط - مادة (ف ض ١) الجزء الثانى، ص٦٩٣.

(٢) قرآن كريم: سورة النساء، من الآية ٢١.

(٣) سنن الترمذى: كتاب الأدب - باب ما جاء فى كراهية مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة ح ٢٧٩٣، ص٢٨.
أنظر: رياض الصالحين - الباب الحادى والثلاثون بعد الثلاثمائة - فى النهى عن وصف محاسن المرأة للرجل - الحديث رقم ١٤٧٥، ص٧٦٤.

حرصت السنة النبوية على إبقاء السر وعدم إفشائه لما فيه من خلل فى بنية الأسرة، وبالتالى خلل فى بنية المجتمع.

واستمراراً للسعادة الزوجية وبقاءً عليها، وتأكيداً للقيم الخلقية التى تدعو إليها التربية الجنسية من خلال السنة النبوية، فإنه يحرم على الرجل أن ينظر إلى عورة الرجل، كما يحرم على المرأة أن يفضى للمرأة.. وذلك من أجل هدف نبيل وهو البقاء على الأسرة السعيدة والعش الهادئ والعلاقات الطاهرة والمجتمع الفاضل. وذلك مصداقاً لقول رسول الله ﷺ : «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد»[1] رواه مسلم وأصحاب السنن.

وخلاصة القول فإن التربية الجنسية وهى تستمد أصولها وجذورها من السنة النبوية إنما تدعم القيم التربوية الصحيحة وخصوصاً ما يتعلق منها بعلاقة الرجل بامرأته.

كما إن السنة النبوية تحرم على الرجل أن يتجرد مع الرجل تحت ثوب واحد، وكذلك الحال مع المرأة والمرأة الأخرى.. كما تحرم أن ينظر الرجل إلى عورة المرأة، وذلك تربية لهم على العفة وضمانا للطهارة ودرأ للمفاسد والأضرار التى تؤرق حياة الفرد والمجتمع.

إن السنة النبوية بهذا المنهج إنما تربى الفرد على أن يعمل على غض بصره من أجل حفظ فرجه، وراحة قلبه وسعادة أسرته وتطهير نسبه وسلالته من كل ما يؤذيه ويشينه، إنها تحرص على ألا يقترب الفرد من مسببات الفاحشة، فضلا على أنها تباعد بينه وبينها، وذلك ضمانا لسلامة الأسرة ونظافة المجتمع.. إنها فى كل هذا وذاك إنما ترسى قواعد التربية الجنسية الصحيحة النظيفة الطاهرة كما أرادها الله تعالى، وكما جاءت فى السنة النبوية المطهرة.

---

(١) سنن الترمذى. الجزء الثامن. كتاب الأدب. باب ما جاء فى كراهية مباشرة الرجل الرجل، والمرأة المرأة، الحديث رقم ٢٧٩٤، ص٢٨، ٢٩.

ثانيا: القيم الخلقية السالبة

١ ـ سوء الأخلاق:

إن سوء الأخلاق ليس من القيم الخلقية الموجبة فى السنة النبوية التى توجب على المسلم التمسك بها والالتزام بقواعدها والعمل بقمتضاها.. إن سوء الأخلاق من القيم السالبة التى تنزل بصاحبها إلى درك أقل ما يقال عنه إنه لا يليق بمسلم.

إن هذه القيم السالبة تظهرها السنة النبوية ليتحاشاها المسلم، فعن طريق العند يعرف الضد.. وإن القيم الإيمانية هى معايير سلوك المسلم وضوابط سيره، قوله وفعله، وهى التى ترسم للمسلم منهج حياته ولا ينبغى أن يتصف المسلم بعكس هذه القيم، فعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذىء»[١] رواه الترمذى.

وإنه ليس من صفات المؤمن الخوض فى الأعراض، بكثرة اللعن والطعن فى الأنساب، وليس المؤمن متفحشاً فى قوله، فقد قال رسول الله ـ ﷺ : «لا ينبغى للمؤمن أن يكون لعانا»[٢] فعن أنس ـ رضى الله عنه: قال رسول الله ـ ﷺ : «ما كان الفحش فى شىء إلا شانه، وما كان الحياء فى شىء إلا زانه».[٣]

وإذا كان الأمر كذلك، وهذه دعوة لكل المسلمين، فإن الأمر يكون أولى فى جانب الزوجين المسلمين، وضرورة تجنب سوء الأخلاق من كليهما حرصاً على سلامة العلاقة الزوجية مما يعكرها أو ربما ينعكس على الأولاد فتسوء تربيتهم ويسوء حالهم.. وتفسد طباعهم بفساد أخلاق الوالدين.

إن من ثمرات سوء الأخلاق أن يتشبه الرجال بالنساء، وتتشبه النساء بالرجال فى اللباس والحركة، والقول والفعل.. إلخ.. وقد لعن رسول الله ﷺ: من كانت هذه أخلاقهم

---

(١) الامام البخارى: الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه ـ الحديث رقم ٣١٢، ١٠٦ انظر الحديث رقم ٣٣٢، ص١٠٦.

(٢) المرجع السابق ـ باب ليس المؤمن بالطعان ـ الحديث رقم ٣٠٩، ص١٠٠.

(٣) سنن الترمذى ـ الجزء السادس ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء فى الفحش والتفحش ـ الحديث رقم ١٩٧٥، ص١٩٨.

وطباعهم، لما أفسدوه ويفسدوه فى المجتمع، فقال: «لعن رسول الله ـ ﷺ المتشبهات بالرجال من النساء، والمتشبهين بالنساء من الرجال».[1]

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال: «لعن رسول الله ـ ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء».[2]

المخنثون، جمع مخنث، وهو من تشبه من الرجال بالنساء حركة وقولاً وفعلاً وسلوكاً ولبساً.. وكل أحواله.

والمترجلات، جمع مترجلة وهى من تتشبه من النساء بالرجال فى حركاتهم ولباسهم وسكناتهم.

انهم بأقوالهم وأفعالهم هذه يغيرون فطرة الله التى فطر الناس عليها.. إنهم يخربون فى الأرض وهم محرومون من الجنة، وريحها حرام عليهم، فقد روى عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه قال: «قال رسول الله ـ ﷺ : «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات. رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».[3] رواه مسلم.

إن هؤلاء النساء الكاسيات العاريات، اللائى يكشفن بعض أجسامهن كى يظهرن جمالهن وفتنتهن للرجال بلباسهم الرقيق من الثياب الذى يصف الجسم، إنهن بعيدون عن طاعة الله تعالى بفعلهن الذميم الدال على سوء أخلاقهن.. وإنهن فى النار لما هن عليه من الصفات الظاهرة الدالة على فساد معتقدهن وسوء تصوراتهن لما ينبغى أن تكون على المرأة المسلمة من العفاف والتقى.

---

(١) سنن الترمذى ـ الجزء الثامن ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء فى المتشبهات بالرجال من النساء ـ الحديث رقم ٢٧٨٥، ص٢٤.

(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ٢٧٨٦، ص٢٤.

(٣) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب صفة أهل النار ـ باب عذاب الذين يعذبون الناس ـ الحديث رقم١٩٨٤، ص٥٢١، ٥٢٢.

إن من ثمرات سوء الخلق بين الزوجين أن يضرب الرجل زوجته ضربا شديداً مبرحاً كضرب الأمة، أول النهار، ثم يطلب منها أن يضاجعها ويعاشرها معاشرة الزوجين آخر النهار.

لقد خطب رسول الله ـ ﷺ ـ ثم ذكر النساء، فوعظهن، ثم قال: «إلام يجلد أحدكم امرأته جلد الأمة؟ ولعله أن يضاجعها من آخر يومه».(١)

فكيف يتم الوفاق بين الزوجين، وتستمر حياتهما الزوجية السعيدة، وهذه حالتهما، وما هم عليه من خلق.. ولو رجعوا إلى سنة نبيهم ﷺ، واقتفوا أثره، لعلموا أنه ـ ﷺ ـ نهى عن ذلك، وما ذكر عنه أنه ضرب امرأة قط.. ولقد روى عن أم المؤمنين ـ عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «ما ضرب رسول الله ـ ﷺ خادماً له، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً».(٢)

وإن ما يرشد إليه الهدى النبوى فى مجال القيم الخلقية، وهو عدم ضرب النساء ضرباً شديداً مبرحاً. لا يتناقض مع قول الله تعالى:

«واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن(٣). إن الضرب المقصود فى الآية الكريمة بهدف التأديب، فمن ولاية الرجل على زوجته تأديبها ـ فى حالة انحرافها عن الصراط المستقيم، فتكون فى حاجة إلى التأديب والتقويم، وقد شرع من أساليب التهذيب ووسائل التأديب ثلاثاً:

(١) الموعظة الحسنة. وهذا ما يلائم حال المرأة التى تكفيها الإشارة أو الكلمة.

(٢) الهجر فى المضجع: وقد قيل إن المراد به المبيت فى حجرة غير التى تبيت فيها.

(٣) الضرب، ويجب ألا يكون مبرحاً شديد الإيلام وقد روى عن ابن عباس تفسيره بالضرب بالسواك ونحوه.(٤)

---

(١) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب ضرب النساء ـ الحديث رقم ١٩٨٣، ص٦٣٨.
(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ١٩٨٤، ص٦٣٨.
(٣) قرآن كريم: سورة النساء، من الآية ٣٤.
(٤) دكتور عبدالله شحاته: المرأة فى الإسلام بين الماضى والحاضر ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ص٢٩.

ولقد قال رسول الله ـ ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر إلى النبى ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله! قد ذئر النساء على أزواجهن، فأمر بضربهن، فضربن، فطاف بآل محمد ﷺ ـ طائف من نساء كثير، فلما أصبح قال: «لقد طاف الليلة بآل محمد سبعون امرأة، كل امرأة تشتكى زوجها فلا تجدون أولئك خياركم».(١)

إن كلمة ذئر النساء تعنى أنهن اجترأن، ونشزن، فرخص فى ضربهن، وتأديبهن. إذ الضرب وسيلة أو طريقة من طرق التقويم والتأديب والتهذيب بالنسبة للناشز من النساء وليس لجميع النساء، فإذا كان الضرب مباحاً فإن له شروطاً وضوابط منها:

١ ـ أن يكون بهدف التخويف، فيكون غير مبرح.

٢ ـ أن يستبعد الوجه تكريما للإنسان.

٣ ـ أن يأتى بعد الوعظ والهجر فى الترتيب.

إن من سوء الخلق نشر سر المرأة، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته، وتفضى إليه ثم ينشر سرها».(٢)

وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «سمعت رسول الله ـ ﷺ يقول: «كل أمتى معافاة إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً، ثم يصبح قد ستره ربه عزوجل، فيقول يا فلان قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيبيت يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه».(٣)

إن من ثمرات سوء الخلق أن تأبى المرأة تلبية نداء زوجها ـ بدون عذر شرعى أو مانع صحى ـ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح».(٤)

---

(١) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب ضرب النساء ـ الحديث رقم ١٩٨٥، ص٦٣٨.
(٢) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب النكاح ـ باب فى نشر سر المرأة ـ الحديث رقم ٨٣١، ص٢١٥.
(٣) المرجع السابق، باب ستر الله العمل على العبد وكشفه عن نفسه، الحديث رقم ٨٣٢، ص٢١٦.
(٤) المرجع السابق، باب فى المرأة تمتنع من فراش زوجها، الحديث رقم ٨٣٠، ص٢١٥.

وإذا كان من حق الزوجين على بعضهما الاستمتاع بما أحله الله لهما، قدر المستطاع. فمن حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها، كما أن من حقوقها عليه أن يعفها باللقاء المحلل، وإن عندها مثل ما عنده من الرغبة والشهوة، وهذا ما تدعو إليه الفطرة.. وإن على كل منهما أن يلبى نداء الفطرة ولا يمتنع عن الآخر مالم يكن هناك ما يمنع.

إن من ثمرات سوء الخلق بين الزوجين، أن تؤذى بعض النساء أزواجهن بالقول أو الفعل، بالتلميح أو التصريح، وهذا مما لا ينبغى أن تتصف به المرأة المسلمة، ذات الخلق والدين، والتى تربت التربية المحمدية السليمة، فقد روى عن سالم بن أبى الجعد عن أبى أمامة، قال: أتت النبى ﷺ . امرأة معها صبيان لها، قد حملت أحدهما وهى تقود الآخر، فقال رسول الله . ﷺ : «حاملات، والدات، رحيمات، لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة».[١]

نعم إن النساء يتحملن مالا يتحمله غيرهن فى سبيل الحمل والولادة والرضاعة والتربية والتهذيب.. ونظير هذه الأعباء والمجاهدات والإعياء ليس لهن من أجر إلا الجنة.. إلا أن ما يأتينه من الأذى وسوء الخلق، والتضجر وعدم الصبر مع أزواجهن، مع قلة صلاتهن وعبادتهن . فهن ناقصات عقل ودين.. هذان السببان يبعدان بكثير من النساء عن دخول الجنة.. فيحرمون ريحها.. لأنهن يكفرن العشير.

لقول رسول الله . ﷺ : «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[٢] وفى رواية قال رسول الله . ﷺ : «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء»[٣]. وهكذا توجهنا السنة النبوية إلى أن سوء الخلق يبعد صاحبه عن الجنة ويقربه من النار..

روى عن معاذ بن جبل . رضى الله عنه . قال: قال رسول الله . ﷺ : «لا تؤذى المرأة زوجها، إلا قالت زوجته التى من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله! فإنما هو عندك دخيل، أوشك أن يفارقك إلينا».[٤]

---

(١) سنن ابن ماجه . الجزء الأول . كتاب النكاح . باب فى المرأة تؤذى زوجها . الحديث رقم ٢٠١٣، ص٦٤٨، ٦٤٩.

(٢) سنن الترمذى . الجزء السابع . كتاب صفة الجنة . باب ما جاء أن أكثر أهل النار النساء . الحديث رقم ٢٦٠٥، ص٢٦٥.

(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ٢٦٠٦، ص٢٦٥.

(٤) سنن ابن ماجه . الجزء الأول . كتاب النكاح . باب فى المرأة تؤذى زوجها . الحديث رقم ٢٠١٤، ص٦٤٩.

٢ـ الاتصال الجنسى المحرم

التربية الجنسية فى السنة النبوية إنسانية فى المقام الأول، وليست حيوانية وإن موضوعها هى الشخصية المسلمة، ذكراً أو أنثى، قبل مرحلة البلوغ أو بعدها أو مازال يعيشها، وفى الحالتين زوجاً أو عذبا.. فالفرد يتربى تربية جنسية إسلامية صحيحة بحسب التصور الذى جاء به الإسلام شريعة وحياة ومنهجاً من خلال السنة النبوية على وجه التحديد، وبحسب إستعدادات هذا الفرد أو ذاك الجسمية والعقلية والنفسية..

وتتجلى التربية الجنسية المستمدة من السنة النبوية، أوضح ما تكون من خلال الأسرة المسلمة داخل البيت المسلم، الآمن والمستقر، والذى يضم الزوجين فى جو من المودة والرحمة، والسكينة، واستقرار الضمير وراحة القلب والتعاون على البر والتقوى من أجل هدف مشترك يجمعهما ويوحدهما «إنها صلة النفس بالنفس فى أوثق وشائجها، يعقدها الله بين النفسين لينعما بالسكينة والاستقرار والراحة، فى بيت الزوجية الهنىء المحبب، العامر بالمودة الخالصة والرحمة الظليلة الحنون».[١]

إن التربية الجنسية فى السنة النبوية إنسانية وذلك لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يستطيع أن يكتسب سلوكيات تربوية أو تدريبات، ومهارات ومعلومات وقيم واتجاهات.. وبالتالى فهو الكائن الوحيد الذى يستطيع أن ينقل كل ما أكتسبه تربوياً إلى جيل آخر ـ لاحق ـ من بنى جنسه.[٢]

وتتصف التربية الجنسية فى السنة النبوية بأنها عملية إنسانية، وليست حيوانية إنها ليست شهوة الحيوان الجائع الذى لا يملك نفسه أن يندفع هائجاً إلى التنفيذ، و«ليست» غلظة الشبق الذى تتلمظ على متاع لذيذ، و«ليست» نزوة الجسد الفائر التى تخنق فى بخارها الوخم عاطفة القلب وإشراقة الروح».[٣]

---

(١) دكتور محمد على الهاشمى: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام فى الكتاب والسنة ـ الطبعة الثالثة ـ دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ـ ١٤٠٨هـ/ ١٩٧٧م، ص٧١.

(٢) دكتور محمد سعد القزاز، وآخر: المبادىء العامة للتربية ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعراج الدولية للنشر ـ الرياض ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ص١٩.

(٣) محمد قطب: قبسات من الرسول، ص١٠٨.

إنها فى المقام الأول إنسانية، طرفاها زوجان، رجل وامرأة، يعيشا تحت سقف واحد، يضمهما بيت الزوجية الإسلامى السعيد، يربطهما رباط شرعى مقدس، لكل منهما ذاته وكيانه، وإمكاناته، لكل منهما واجبات وحقوق نحو الآخر، تجمعهما أهداف مشتركة، من أجل تتمة سعادتهما وطمأنينة نفسيهما، وراحة فؤادهما، وكلاهما فى حاجة إلى الآخر. ومعه مثل الذى مع الآخر..

لذا فإن كل سلوك إنسانى يصدر عن أحد الزوجين يقابله سلوك آخر شبيهه من الطرف الآخر، وإذا كان من حق الزوج على الزوجة أن يعمل على إسعادها بشتى الطرق. فكذلك من حق الزوجة على الزوج أن تعمل على سعادته، وإن كان من حق الزوجة أن يتزين لها زوجها، فكذلك من حقه عليها أن «تتزين له وحده بما أحل الله».(١)

وتقوم التربية الجنسية فى السنة النبوية على مجموعة من القيم الموجبة وأخرى سالبة هذه القيم الخلقية السالبة مايلى:

(أ) إتيان الزوجة فى الدبر

إن وطء المرأة فى دبرها حرام حسب ما جاء فى الكتاب والسنة، بل هو اللوطية الصغرى، ولقد أباح الله تعالى للزوج «أن يأتى امرأته من جميع جهاتها، ولكن فى الفرج خاصة، ومتى وطأها فى الدبر وطاوعته، عزرا جميعاً، فإن لم ينتهيا، وإلا فرق بينهما، كما يفرق بين الفاجر ومن يفجر به».(٢)

ولما كانت التربية الجنسية فى السنة النبوية إنسانية، وليست حيوانية لأن موضوعها وهدفها هو الإنسان وليس الحيوان، فقد شرع الله الزواج من أجل الإنجاب واستمرار النوع، ولا يتم ذلك عن طريق الوطء فى الدبر، بل عن طريق الوطء المشروع وهو المحلل، فى القبل، لذا قيل-«إن وطء المرأة فى دبرها حرام، بالكتاب والسنة، وقول جماهير السلف والخلف، بل هو اللوطية الصغرى».(٣)

---

(١) أنور على عاشور: الزواج وآداب الزفاف فى الكتاب والسنة ـ دار الصحابة ـ القاهرة ـ ١٩٨٦م، ص٧١.

(٢) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى ـ الجزء الرابع ـ دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨، ص٧٩.

(٣) المرجع السابق، ص٧٨.

إن وطء المرأة فى دبرها حرام شرعاً، فعن «ابن المنكدر أنه سمع جابراً . رضى الله عنه يقول: «كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من دبرها فى قبلها كان الولد أحول[1] .. فنزلت الآية القرآنية الكريمة: «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم...».

إن الحرث موضع الزرع، والولد إنما يزرع فى الفرج، لا فى الدبر لقول الله تعالى «فأتوا حرثكم أنى شئتم، يعنى أئتوا موضع الولد (الفرج) من أين شئتم . أى من أى جهة من قبلها ومن دبرها، وعن يمينها وعن شمالها .. على أن يكون الإتيان فى الفرج لا فى الدبر.

وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: إن الله لا يستحى من الحق، لا تأتوا النساء فى حشوشتهن «والحش هو الدبر، وهو موضع القذر، وإن الله سبحانه وتعالى، حرم اتيان الحائض فى فرجها مع أن النجاسة عارضة، فكيف بالموضع الذى تكون فيه النجاسة المغلظة، وهو أيضاً من جنس اللواط».[2]

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبى ﷺ أنه قال:

«لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها».[3]

وقال . ﷺ .: «إن الله لا يستحى من الحق» ثلاث مرات «لا تأتوا النساء فى أدبارهن».[4]

وقال . ﷺ : «من أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها، أو كاهنا فصدقه بما يقول. فقد كفر بما أنزل على محمد».[5]

مما سبق يتبين أن السنة النبوية المطهرة حريصة على تربية المسلم ذكرا كان أو أنثى، التربية الجنسية اللائقة، والمتفقة مع ما شرعه الله تعالى وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال أقواله وأفعاله وتقريره ﷺ.

---

(١) مختصر صحيح مسلم . كتاب النكاح . الحديث رقم ٨٢٩، ص٢١٥.

(٢) قرآن كريم: سورة البقرة، الآية ٢٢٣.

(٣) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى . الجزء الرابع . مرجع سابق، ص٢٤٣.

(٤) سنن ابن ماجه . الجزء الأول . كتاب النكاح . باب النهى عن إتيان النساء فى أدبارهن . الحديث رقم ١٩٢٣، ص٦١٩.

(٥) المرجع السابق . الحديث رقم ١٩٢٤ . ص٦١٩.

(ب) إتيان الحائض:

فى حالة حيض الزوجة يباح لزوجها أن يفعل معها كل شىء إلا الجماع، وذلك لما له من خطر وضرر فقد حرمه الإسلام. قرآناً وسنة. وما ذلك إلا للتربية الجنسية الصحيحة ونظافة وسلامة الابدان والوجدان، فعن عائشة. أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت: «كنت أتعرق العظم وأنا حائض، فيأخذه الرسول - ﷺ - فيضع فمه حيث كان فمى، وأشرب من الإناء، فيأخذه رسول الله - ﷺ فيضع فمه حيث كان فمى، وأنا حائض».(١)

وقد جاء عن أنس رضى الله عنه «أن اليهود كانوا لا يجلسون مع الحائض فى بيت، ولا يأكلون ولا يشربون، قال: فذكر ذلك للنبى ﷺ - فأنزل الله قوله تعالى: «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض».. فقال رسول الله - ﷺ : «اصنعوا كل شىء إلا الجماع».(٢)

وقد جاء فى حق من أتى امرأته وهى حائض أن يتصدق تطهيراً لفعله وامتثالاً للسنة النبوية المطهرة، فقد جاء عن ابن عباس - عن النبى - ﷺ - فى الذى يأتى امرأته وهى حائض قال: «يتصدق بدينار أو نصف دينار».(٣)

وعنه - رضى الله عنه - قال: «كان الرجل، إذا وقع على امرأته وهى حائض، أمره النبى - ﷺ أن يتصدق بنصف دينار».(٤)

من هنا فإنه يحرم على الرجل أن يطأ امرأته فى حالة حيضها «فإن وطىء فى الفرج فعليه دينار كفارة، ويعتبر أن يكون مضروراً، وإذا تكرر من الزوج الوطء فى الفرج ولم ينزجر فرق بينهما.. فيما إذا وطئها فى الدبر ولم ينزجر».(٥)

---

(١) المرجع السابق. كتاب الطهارة وسننها. باب النهى عن إتيان الحائض. الحديث رقم ٦٣٩. ص٢٠٩.

(٢) المرجع السابق، كتاب الطهارة وسننها. باب ما جاء فى مؤاكلة الحائض وسؤرها. الحديث رقم ٦٤٣. ص٢١١.

(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ٦٤٤، ص٢١١.

(٤) المرجع السابق. باب فى كفارة من أتى حائضاً. الحديث رقم٦٤٠، ص٢١٠.

(٥) المرجع السابق، باب من وقع على امرأته وهى حائض. الحديث رقم ٦٥٠، ص٢١٢.

مصداقا لقول الله تعالى: «ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض..».[1]

إن المباشرة فى المحيض قد تحقق للرجل ـ فقط ـ اللذة الحيوانية ـ مع ما ينشأ عنها من أذى ومن أضرار صحية مؤكدة للرجل والمرأة على السواء، ولكنها لا تحقق الهدف الأسمى، للعلاقة بين الزوجين.. إن المباشرة فى حالة الطهر تحقق اللذة الطبيعية للزوجين، وتتحقق معها الغاية الفطرية، إن المحيض أذى وهذا حكم الله ووصف له.. وليست المسألة فوضى، ولا وفق أهواء وانحرافات.. إنما هى مقيدة بأمر الله.. مقيدة بكيفية وحدود .. مقيدة بأهداف وغايات.[2]

(ج) الغيلة:

يقال أضرت الغيلة بولد فلان، إذا أرضعته وهى حامل أو أن يجامع الرجل زوجته وهى مرضع[3]، وهو أمر منهى عنه فى السنة النبوية، وذلك لما جاء «عن جدامة بنت وهب الأسدية أخت عكاشة ـ رضى الله عنهما ـ قالت: حضرت رسول الله ـ ﷺ فى أناس وهو يقول: «لقد هممت أن أنهى عن الغيلة، فنظرت فى الروم وفارس، فإذا هم يغيلون أولادهم، فلا يضر أولادهم ذلك شيئاً».[4]

ولقد هم رسول الله ـ ﷺ ـ بالنهى بالغيلة ـ بمعنى أن يجامع الرجل زوجته وهى مرضع ـ وذلك خوفاً من إلحاق الضرر بالولد..

فقال ـ ﷺ ـ «لا تقتلوا أولادكم سراً، فوالذى نفسى بيده، إن الغيل ليدرك الفارس على ظهر فرسه حتى ليصرعه».[5]

ولقد نهى رسول الله ـ ﷺ عن الغيل لما اشتهر عند العرب أنه مضر بالولد، وهو وليد، وإن لم يظهر أثره فترة الرضاعة، فلربما ظهر هذا الأثر بعد أن يصير الولد رجلاً، وربما

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى ـ الجزء الرابع ـ مرجع سابق، ص٣٣٤.

(٢) قرآن كريم: سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

(٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ المجلد الأول ـ الطبعة التاسعة دار الشروق ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠، ص٢٤٢.

(٤) المعجم الوسيط ـ مادة (غ ى ل) الجزء الثانى، ص٦٦٩.

(٥) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب النكاح ـ باب فى الغيلة ـ الحديث رقم ٨٣٥، ص٢١٦.

بعد أن يصير فارساً فيسقط من على صهوة جواده فيموت وذلك بسبب الغيل، وهذا كناية عن أن ضررها مستمر مع الإنسان منذ طفولته، إلى أن يبلغ مبلغ الرجال.

(د) العزل:

العزل منهى عنه فى السنة النبوية المطهرة، بل هو كما قال رسول الله ﷺ : «ذاك الوأد الخفى».[١]

والعزل معناه الإنزال خارج الفرج، وقد ذكر العزل عند النبى - ﷺ فقال: «وما ذاكم؟» قالوا: الرجل تكون له المرأة ترضع فيصيب منها، ويكره أن تحمل منه، والرجل تكون له الأمة، فيصيب منها، ويكره أن تحمل منه، قال: «فلا عليكم أن لا تفعلوا ذاكم، فإنما هو القدر» قال إبن عون: فحدثت به الحسن فقال: والله لكأن هذا زجر».[٢]

إن الرجل يطأ المرأة ويكره أن تحمل منه فى حالة الإرضاع، زعما أن الحمل فى حال الإرضاع مضر بالولد المحمول، وكذلك يكره أن تحمل الأمة منه إذا أصابها، حتى لا يمتنع عليه بيعها بسبب الولادة والرضاعة والمسئولية. ويفهم قول الرسول - ﷺ على أن الله تعالى قدر الأقدار، كما يفهم من الحديث كراهة العزل وليس التحريم، ولا الإباحة المطلقة.[٣]

وهذا المعنى يوضحه حديث رسول الله - ﷺ حين سئل عن العزل فقال: «أو تفعلون؟» لا عليكم أن لا تفعلوا، فإنه ليس من نسمة قضى الله لها أن تكون إلا هى كائنة».[٤]

وعن جابر - رضى الله عنه - قال: «كنا نعزل على عهد رسول الله - ﷺ والقرآن ينزل».[٥]

ولقد نهت السنة النبوية العزل عن الحرة إلا بإذنها، فقد روى عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال: «نهى رسول الله - ﷺ أن يعزل عن الحرة إلا بإذنها».[٦]

---

(١) سنن ابن ماجه - الجزء الأول - كتاب النكاح - باب الغيلة - الحديث رقم ٢٠١١، ص٦٤٨.
(٢) مختصر صحيح مسلم: كتاب النكاح - باب الغيلة - الحديث رقم ٨٣٥، ص٢١٦.
(٣) المرجع السابق - باب فى العزل عن المرأة والأمة - الحديث ٨٣٣، ص٢١٦.
(٤) المرجع السابق، ص٢١٦ (الهامش).
(٥) سنن ابن ماجه - الجزء الأول - كتاب النكاح - باب العزل - الحديث رقم ١٩٢٦، ص٦٢٠.
(٦) المرجع السابق، الحديث رقم ١٩٢٧، ص٦٢٠.

٣ ـ النكاح المحرم:

نهت السنة النبوية عن النكاح المحرم، باعتباره من القيم السالبة فى التربية الجنسية. لكونه مناف للفطرة السليمة، ومخالف لما جاء فى القرآن والسنة من توضيح وبيان.

ومن أنواع النكاح المحرم ما يلى:

(أ) نكاح المتعة:

إن نكاح المتعة محرم فى الإسلام، فقد روى عن قيس قال: «سمعت عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا نغزو مع رسول الله ـ ﷺ ـ ليس لنا نساء فقلنا: ألا نستخصى؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل[1]، ثم قرأ عبدالله قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين».[2]

إن الله وحده ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى يحلل ويحرم، يأمر وينهى، وليس هذا الحق لأحد إلا الله، وإلا فهو الاعتداء على حق الله تعالى وسلطانه العظيم وألوهيته.. ثم إن من يستمد فى شىء من هذا كله من عرف الناس ومقولاتهم ومصطلحاتهم، فإنما يعدل عما أنزل الله إلى رسول الله ـ ﷺ، بل ويخرج بهذا العدول عن الإيمان بالله، ويخرج من هذا الدين.[3]

لقد حرم الله نكاح المتعة لحكمة يعلمها سبحانه، فعن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ «نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن لحوم الحمر الإنسية».[4]

لقد حرم نكاح المتعة لأجل معلوم أو مجهود.. ولقد سمى بأنه نكاح متعة لأن الغرض من المتعة لا يتعدى الاستمتاع دون التوالد والتكاثر، وغيره من أهداف النكاح الكثيرة.. إنه متعة بدون مسئولية وأعباء.. إنه أخذ دون عطاء.

---

(١) المرجع السابق، الحديث رقم ١٩٢٨، ص٦٢٠.

(٢) قرآن كريم: سورة المائدة الآية رقم ٨٧.

(٣) مختصر صحيح مسلم: كتاب النكاح ـ باب نكاح المتعة ـ الحديث رقم ٨٠٩، ص٢١٠.

(٤) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ المجلد الثانى ـ دار الشروق، القاهرة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ ـ ١٩٨٠ ـ ص٩٦٩.

روى عن الربيع بن سبرة عن أبيه، قال: «خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى حجة الوداع، فقالوا: يا رسول الله إن العزبة قد إشتدت علينا، قال «فاستمتعوا من هذه النساء» فأتيناهن. فأبين أن ينكحننا إلا أن نجعل بيننا وبينهن أجلا. فذكروا ذلك للنبى ـ ﷺ فقال: «أجعلوا بينكم وبينهن أجلا» فخرجت أنا وابن عم لى، معه برد ومعى برد، وبرده أجود من بردى، وأنا أشب منه، فأتينا امرأة، فقالت برد كبرد، فتزوجتها فمكثت عندها تلك الليلة، ثم غدوت ورسول الله ـ ﷺ ـ قائم بين الركن والباب وهو يقول: «أيها الناس إنى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع. ألا وإن الله قد حرمها إلى يوم القيامة. فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيلها، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً.(١)

وعن سبرة الجهنى ـ رضى الله عنه ـ أنه كان مع رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «يا أيها الناس إنى كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء، وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شىء فليخل سبيلها، ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً».(٢)

وعن أبى بكر بن حفص عن ابن عمر، قال: لما ولى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ خطب الناس فقال: إن رسول الله ﷺ ـ أذن لنا فى المتعة ثلاثا ثم حرمها. والله لا أعلم أحدا يتمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة، إلا أن يأتينى بأربعة يشهدون أن رسول الله أحلها بعد إذ حرمها».(٣)

(ب) نكاح الشغار:

الشغار لغة هو أن يزوج الرجل قريبته رجلاً آخر، على أن يزوجه هذا الآخر قريبته، بغير مهر بينهما(٤). ولقد نهت السنة النبوية عن مثل هذا النوع من الزواج الجائر للمرأة وذلك حفاظا على حقوقها وكرامتها التى كفلها الإسلام، فعن ابن عمر قال: نهى رسول الله ـ ﷺ ـ عن الشغار، والشغار أن يقول الرجل للرجل: زوجنى ابنتك أو أختك، على أن

(١) سنن ابن ماجة ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب النهى عن نكاح المتعة الحديث رقم ١٩٦١، ص٦٣٠.
(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ١٩٦٢، ص٦٣١.
(٣) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب النكاح ـ باب فسخ نكاح المتعة وتحريمها ـ الحديث رقم ٨١٣، ص٢١١.
(٤) المعجم الوسيط: مادة (ش غ ر) ـ الجزء الأول، ص٦٨٦.

أزوجك ابنتى، أو أختى، وليس بينهما صداق».(1)

لقد أقر الإسلام حقوق المرأة المسلمة، وجعل ذلك تشريعاً لا يملك مؤمن ولا مؤمنة الخيرة فيه. وتشريع الإسلام لهذه الحقوق فيه تنويه لقيمة المرأة فى المجتمع ودورها الوقور فى هذه الحياة، وفيه لا شك إعزاز وإكرام للمرأة المسلمة»(2). من هذه الحقوق التى كفلها الإسلام للمرأة المسلمة، حقها فى الصداق الذى يصدقها بها الرجل، فقد فرض الله المهر على الرجل للمرأة فرضاً حتماً وحرم عليه أن يأكل شيئاً منه بعد الزواج، بدون رضاها وطيب نفسها(3). وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وءاتوا النساء صدقتهن نحلة﴾.(4)

إن هذه الآية الكريمة تنشىء للمرأة المسلمة حقا صريحاً، وحقا شخصياً فى صداقها، وتنبىء بما كان واقعاً فى المجتمع الجاهلى من هضم هذا الحق فى صور شتى. واحدة منها كانت فى قبض الولى لهذا الصداق وأخذه لنفسه، وكأنما هى صفقة بيع هو صاحبها. وواحدة منها كانت فى زواج الشغار، وهو أن يزوج الولى المرأة التى فى ولاية فى مقابل أن يزوجه من يأخذها امرأة هى فى ولايته هذا الآخر واحدة بواحدة، صفقة بين الوليين، لا حظ فيها للمرأتين، كما تبدل بهيمة ببهيمة، فحرم الإسلام هذا الزواج كلية، وجعل الزواج إلتقاء نفسين عن رغبة واختيار، والصداق حقا للمرأة تأخذه لنفسها ولا يأخذه الولى.(5)

كما حرمت السنة النبوية نكاح الشغار انطلاقا من الاعتراف بحقوق المرأة المسلمة. ومكانتها ودورها الذى لا ينكر فى المجتمع المسلم ووجوبا لصداقها، الذى تقبضه. باعتباره فريضة لها وحقا واجبا يؤديه الزوج لها «هدية» أى «نحلة» أى «هبه» خالصة، طيبة، يدفعها إليها عن طيب نفس وارتياح.. إن هذا المهر أو الصداق لا شك أنه «آية من

---

(1) سنن ابن ماجة - الجزء الأول - كتاب النكاح - باب النهى عن الشغار الحديث رقم ١٨٨٣، ص٦٠٦.

(2) دكتورة كوثر محمد المنياوى: حقوق المرأة فى الإسلام - الطبعة الثانية - دار الأفق الرياض - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣، ص١٦.

(3) المرجع السابق، ص٤٣.

(4) قرآن كريم: سورة النساء، من الآية رقم ٤.

(5) سيد قطب: فى ظلال القرآن - المجلد الأول - الطبعة التاسعة - دار الشروق - القاهرة - بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص٥٨٥.

آيات المحبة وصلة القربى، وتوثيق عرى المودة والرحمة بين الزوجين المسلمين وأنه واجب حتمى لا تخيير فيه».[1]

فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ ـ عن الشغار».[2]

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «لا شغار فى الإسلام»[3] . وليس بعد قول الله تعالى وحكمه فصل وحكم.

وهكذا حرم الإسلام من خلال القرآن والسنة ـ نكاح الشغار وجعله محرماً على المسلم حتى تقوم الأسرة المسلمة على المودة والرحمة وفى ظل المساواة والعدل والوشائج القوية المبنية على ما أحل الله للزوجين من حقوق وواجبات.

(جـ) النكاح بنية التحليل:

النكاح بنية التحليل هو ضرب من نكاح المتعة، وصورته أن يطلق الرجل أمرأته ثلاثا فيتزوجها رجل آخر، بشرط أن يطلقها، بعد موافقته إياها، لتحل للزوج الأول.[4]

والنكاح بنية التحليل يقتضى عدم الصحة، وسبب ذلك أن هدفه ليس تكوين أسرة مستقرة هانئة، يسودها المودة والرحمة، ويتحمل فيها الزوجان أعباء ومسئوليات تنشئة الأولاد، ولكن هذا النوع من النكاح عبارة عن حالة قلقة، غير مستقرة، وقتية، وهذا مما يتنافى مع هدف الزواج، والتربية الجنسية فى الإسلام، كما جاء فى القرآن الكريم، ودعت السنة النبوية.

إن هذا المعنى ينضوى تحت باب «محلل ومحلل له» وكلمة محلل جاءت من الإحلال.. وهو أن يحل شخص مكان شخص.. أما كلمة المحلل له، فجاءت بمعنى التحليل.. والمحلل هو الذى يتزوج مطلقة الغير ثلاثا، ولا تحل للمطلق، إلا بعد أن تتزوج غيره، فيصير بذلك حلاً له، أما المحلل له فهو المطلق.

---

(١) دكتورة كوثر محمد المنياوى: مرجع سابق، ص٤٣.

(٢) سنن ابن ماجه ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب النهى عن الشغار الحديث رقم ١٨٨٤، ص٦٠٦.

(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ١٨٨٥، ص٦٠٦.

(٤) دكتور بدير محمد بدير: مرجع سابق، ص٣٦.

ولقد لعن رسول الله - ﷺ - المحلل والمحلل له، فكلاهما آثم.. والسبب فى لعن رسول الله - ﷺ لهما، حتى لا تكون هذه الحالة الشاذة هى القاعدة، وكونه - ﷺ - يلعن كلا المحلل والمحلل له، إنما يستهدف بذلك أن يستقر أمر المجتمع المسلم، وتقوى قاعدته، ولا يصير نهباً للأهواء والأغراض والأمراض، وتشيع الفوضى الجنسية فى المجتمع.

فعن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - قال: «لعن رسول الله - ﷺ - المحلل والمحلل له».(١)

واستمرارا لنفس المعنى، فقد شبه رسول الله - ﷺ - المحلل بالتيس المستعار، استنكاراً لفعلته، ورغبة فى سعادة الحياة الأسرية القائمة على العفة والاستقرار، وحتى لا يقلد هذا الصنيع مقلد، ولا يتخذها كذريعة أو وسيلة للذة أو متعة وقتية غير مسئولة وغير نظيفة.

فعن عقبة بن عامر، قال رسول الله - ﷺ : «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «هو المحلل» لعن الله المحلل والمحلل له».(٢)

إن بيت الزوجية هو السكن والمثابة، فى ظله يتمتع الزوجان بالطمأنينة والراحة وفى جوه يستنشقا عبير المودة والرحمة، وبالتالى من حرم نعمة الأسرة الآمنة، والبيت السعيد، حرم الخير الكثير، وإن الفرد الذى لا يستمتع فى بيته بالسلام، لن يعرف للسلام قيمة، ولن يتذوق له طعما، ولن يكون عامل سلام وفى أعصابه معركة، وفى نفسه قلق، وفى روحه اضطراب.(٣)

من أجل ذلك قامت الأسرة فى الإسلام على الطهر والعفاف، وأنشئت فى ظل الدين القويم وذلك ليعم الأمن والاستقرار ويتم لها البقاء والاستمرار، وليتحمل كل من الزوجين مسئولية تربية الصغار، ولضمان ذلك أحاط الإسلام هذه الخلية أو هذا المحضن أو هذه المثابة بكل رعاية وبكل ضماناته، لذا اشترط فى الزواج نية التأبيد لا التوقيت فإذا نوى

---

(١) سنن ابن ماجه - الجزء الأول - كتاب النكاح - باب المحلل والمحلل له - الحديث رقم ١٩٣٥، ص٦٢٢.
(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ١٩٣٦، ص٦٢٣.
(٣) سيد قطب: السلام العالمى والإسلام - الطبعة الثالثة - مكتبة وهبه د. ت، ص٦٠.

أو صرح بأن يكون هذا الزواج موقوتا بزمن لم ينعقد.[1]

وهذا ما يتم فى النكاح بنية التحليل، إنه نكاح مؤقت وليس مؤيدا ولهذا يحرمه الإسلام ويمنعه منعا باتاً. وقد جاء فى السنة النبوية ما يؤيد هذا، فحرمه رسول الله ـ ﷺ ـ وسار على نهجه أصحابه ـ ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين، فاتفقوا على تحريم هذا النوع من النكاح بنية التحليل، وجاء من بعدهم التابعون لهم باحسان واتفقوا معهم على تحريمه، وكان منهم «عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عمر.. وغيرهم، حتى قال بعضهم: فى حق المتناكحين نكاح المتعة لايزالا زانيين، وإن مكثا عشرين سنة، إذا علم الله من قلبه أنه يريد أن يحلها له، وقال بعضهم لانكاح إلا نكاح رغبة، لا نكاح دلسة. وقال بعضهم من يخادع الله يخدعه، وقال بعضهم: كنا نعدها على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ سفاحاً. وقد أتفق أئمة الفتوى كلهم على أنه إذا شرط التحليل فى العقد كان باطلاً».[2]

(د) نكاح الاستبضاع:

نكاح الاستبضاع وهو نوع من نكاح الجاهلية، ومعناه أن تطلب المرأة جماع الرجل لتنال منه الولد فقط.. وقد كان الرجل يقول لامرأته: أرسلى إلى فلانا فاستبضعى منه. ويعتزلها، فلا يمسها، حتى يتبين حملها، من ذلك الرجل، وإنما يفعل ذلك فى نجابة الولد.[3]

وقد ذكرت السنة النبوية نكاح الاستبضاع ضمن أنواع النكاح المحرم، فعن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها قالت: «إن النكاح فى الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، وهو أن يخطب الرجل إلى الرجل وليته، أو أبنته، فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر، كان الرجل يقول لأمرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه، ويعتزلها زوجها، ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع

---

(1) المرجع السابق، ص ص٦١، ٦٢.

(2) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى ـ الجزء الرابع ـ دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨، ص٧٣.

(3) لسان العرب ـ مادة (بضع) ص٢٩٧.

منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومرت ليال بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت، فهذا ابنك يا فلان، تسمى من أحببت باسمه، فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع الرجل.

ونكاح رابع، يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة، لا تمنع من جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة[1]، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون، فالتاطته[2] به ودعى ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد - ﷺ - بالحق هدم نكاح الجاهلية كله، إلا نكاح الناس اليوم».[3]

(هـ) الزنـا:

الزنا من الفواحش التى تجلب على مرتكبها قلق النفس والشعور بالإثم والخطيئة. وتجلب على المجتمع التفكك والانهيار بضياع الأصول واختلاط الأنساب، وفساد القيم وسوء الخلق، ولما كان الزواج هو الطريق الأوحد لتكوين أسرة كريمة، ومن ثم مجتمع فاضل نظيف الأعراق، فقد أحله الإسلام وشرعه، ودعا إليه، وحرم الزنا لأنه كالسيل يخرق صفاتنا الأدبية، ويطفىء ما بنا من نور وخلق كريم ويخلف لقطاء يكونون عالة على المجتمع، ويحملون شعورا لا يمحى من الألم، ونظرة حنق على هذه الحياة التى حرمتهم لذة العيش فى كنف أبوين يحنوان عليهم ويهيئان لهم مستقبلاً زاهراً.[4]

والزنا ليس من الإيمان، وبالتالى ليس من شيم المسلم، وليس من طبعه، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو

---

(١) القافه: جمع قائف، بقاف، ثم فاء، وهو الذى يعرف شبه الولد بالوالد، بالآثار الخفية (انظر فتح البارى: الجزء التاسع، ص٩٢).

(٢) التاطته: إستلحقته به. وأصل اللوط بفتح اللام يعنى اللصوق. (انظر فتح البارى. الجزء التاسع. ص٩٢).

(٣) فتح البارى. بشرح صحيح البخارى. الجزء التاسع. الحديث رقم ٥١٢٧، ص٨٨.

(٤) عفيفى عبدالفتاح طبارة: روح الدين الإسلامى. الطبعة السادسة عشر. دار العلم للملايين. بيروت. ١٩٧٧، ص٢٣٦.

مـؤمن..»[1] والزنا من أكبر الكبائر، فعن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله قال: «أن تدعو لله ندا وهو خلقك. قال: ثم أى؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال: ثم أى؟ قال: «أن تزنى حليلة جارك»[2]، فأنزل الله عزوجل تصديقها «والذين لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً».[3]

وإن من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشركون بالله غيره، ويتحرجون من قتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق، وهم بدورهم لا يزنون.. إن توحيد الله أساس هذه العقيدة الإسلامية، وهو مفرق الطرق بين الوضوح والاستقامة والبساطة فى الاعتقاد، وبين الالتواء والتعقيد، وكما أن قتل النفس ـ بغير الحق ـ هو مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة، وحياة الغابات والهمجية واللامبالاة والكهوف، فإن الزنا هو مفرق الطريق بين الحياة الإنسانية النظيفة الآمنة المطمئنة، والحياة الهابطة الساقطة المنحدرة والمستغرقة فى الأوحال والحيوانية[4] من أجل هذا حرم الله الزنا وجعله من أكبر الكبائر، فقال تعالى: «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً».[5]

إنه فاحشة.. ورذيلة، وقتل من نواحى شتى إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة فى غير موضعها، يتبعه غالباً الرغبة فى التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق أو بعد أن يتخلق.. وهو قتل للجماعة التى يعيش فيها فتضيع الأنساب وتختلط الدماء وتذهب الثقة فى العرض والولد، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها.. وهو قتل للجماعة من جانب آخر إذ أن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها.[6]

---

(١) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ـ الحديث رقم٤٣، ص١٨.
(٢) المرجع السابق، كتاب الإيمان، باب أى الذنب أكبر ـ الحديث رقم٥١ ص١٩.
(٣) قرآن كريم سورة الفرقان، الآية رقم ٦٨.
(٤) سيد قطب: فى ظلال القرآن المجلد الخامس ـ الطبعة العاشرة دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١، ص٢٥٧٩.
(٥) قرآن كريم: سورة الإسراء، الآية رقم ٣٢.
(٦) سيد قطب: فى ظلال القرآن ـ المجلد الرابع ـ الطبعة العاشرة ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١، ص٢٣٢٤.

من أجل ذلك حرم ربنا - تبارك وتعالى - على المسلم - الزنا، ولذا حد له حدوداً وقعد له قواعد وأصولاً، حتى لا يستمتع الرجل أو المرأة استمتاعاً غير شرعى، على حساب غيره لا يكلفه شيئاً من المسئولية وتحمل التبعة.. حرمه الإسلام لأنه سبيل اللذة الحيوانية المنحطة غير المسئولة، القائمة على المنفعة الشخصية والرغبة الأنانية.. حرمه الإسلام لأنه طريق الانهيار والتفكك والتدمير الشامل للمجتمع.

كما نهت السنة النبوية المطهرة عن الاقتراب مما يؤدى إلى الزنا، فباعدت بينه وبين المسلم، وأوصدت كل السبل الموصلة إليه والدالة عليه فنهت عن الاختلاط، وحببت فى الحياء، وكرهت وشوهت فى الفحش وسوء الخلق، وحببت فى الزواج ورغبت فيه، وكرهت فى التبتل والانقطاع عن النساء بحجة العبادة والزهد فى النكاح..

إن تجنب الزنا وتوقيه يعد قيمه من القيم الخلقية العظيمة التى تحرص عليها التربية الجنسية فى السنة النبوية باعتبار الزنا جريمة شنعاء، جاءت فى العظم والضخامة والذنب بعد الشرك بالله تعالى وقتل النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق.

فقد روى عن أبى أمامة، أن فتى شاباً أتى النبىﷺ فقال يا رسول الله: إئذن لى بالزنا، فأقبل عليه القوم فزجروه، وقالوا، مه مه.. فقال: فدنا منه قريباً، فجلس قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله، جعلنى الله فداءك. قال: «لا الناس يحبونه لأمهاتهم». قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله - جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: «أتحبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: «أفتحبه لعمتك» قال: لا، والله، جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم قال: «أفتحبه لخالتك» قال: لا والله، جعلنى الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يديه عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء».[1]

لقد نهت السنة النبوية المرأة المسلمة أن تخرج من بيتها متعطرة - عطراً يلفت إليها الأنظار، ويخلب معه العقول والألباب، فعن أبى هريرة - رضى الله عنه قال: قال رسول

(١) سنن الترمذى - كتاب الأدب - باب ما جاء فى طيب الرجال والنساء - الحديث رقم ٢٧٨٨، ص٢٥.

الله - ﷺ : «طيب الرجال ما ظهر ريحه، وخفى لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه» فإذا خرجت المرأة من بيتها وقد استعطرت - ولو كان ذهابها - وخروجها من أجل الصلاة، وصلت فلا تقبل صلاتها، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «لا تقبل صلاة لامرأة تطيبت لهذا المسجد، حتى ترجع فتغتسل عنها من الجنابة» وعند النسائى وأبى داود بلفظ: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن معنا العشاء».[1]

هكذا شددت السنة النبوية على المرأة إذا خرجت من بيتها مستعطرة وذلك لأن خروجها على هذه الحالة مجلبة للنظر، ومن ثم للافتتان وإثارة الغرائز وتحريك الألسن بالكلام، والقلوب والأنفس بالشهوة، فعن أبى موسى، عن النبى - ﷺ قال:

«كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا، يعنى زانية».[2]

إن السنة النبوية المطهرة وهى تجنب المسلم والمسلمة الزنا، نراها قد سددت كل الطرق الموصلة إليه والمسببة له، لذلك فإنها «اختصت المرأة بالاحتجاب» - لأنه السبيل للعفة ومنع الفتنة - «وترك إبداء الزينة، وترك التبرج» وأوجبت فى حقها «الاستتار باللباس والبيوت مالا يجب فى حق الرجل، لأن ظهور النساء سبب الفتنة».[3]

جاء فى السنة النبوية - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ ، قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان، وزناهما النظر، والأذنان وزناهما الاستماع، واللسان وزناه الكلام، واليد وزناها البطش، والرجل وزناها الخطى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه».[4]

■ ■ ■

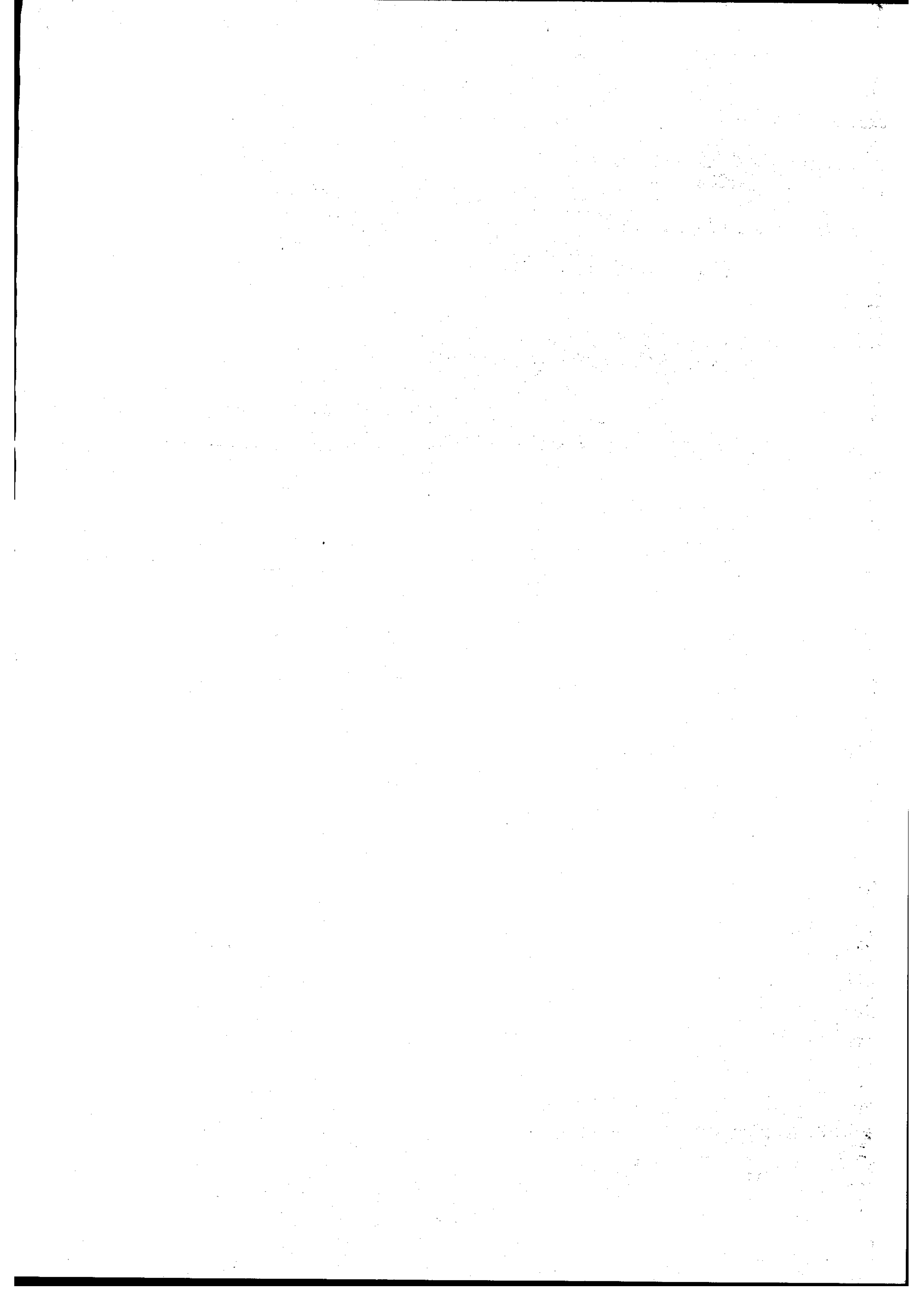
---

(١) المرجع السابق، ص٢٥ (الهامش).
(٢) المرجع السابق، باب ما جاء فى كراهية خروج المرأة متعطرة - الحديث رقم ٢٧٨٧و ص٢٥.
(٣) ابن تيمية: حجاب المرأة المسلمة ولباسها فى الصلاة - حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد ناصر الألبانى، ص٣٢.
(٤) صحيح البخارى - الجزء السابع - كتاب الاستئذان، ص١٢٦، ١٢٧.
- مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم ١٨٥٠، ص٤٨٤.

2

التربية الجنسية
فى ظلال السنة النبوية

التربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية المطهرة



أولا: دور الوسائط التربوية فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية

تتعدد الوسائط التربوية فى المجتمع، ومع تعددها يختلف فى أساليب عملها، ولكل منها أسلوبه الخاص به، وبرغم هذا الاختلاف وهذا التعدد إلا أن الأهداف التى يسعون لتحقيقها داخل المجتمع واحدة.

إن الأسرة والمدرسة هما من أهم وسائط العملية التربوية، وكلما تحددت الأهداف التربوية لدى كل منهما، كلما أدى ذلك إلى سعادة المجتمع وتقدمه، وكلما تشتتت الأهداف أو تعارضت أو كانت غير واضحة، انعكس ذلك على المجتمع.

وسنعرض للدور التربوى لكل من الأسرة، والمدرسة فى المجتمع، كل على حدة، لبيان تأثيره على تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى المجتمع المسلم، الأمر الذى ينعكس بدوره على الأهداف التربوية العليا التى ينشدها المجتمع المسلم ويسعى نحوها آملاً تحقيقها على أفضل وجه.

وإذا كانت الأسرة هى أولى المؤسسات الاجتماعية المهتمة بأمور التربية والتنشئة، فإن المدرسة أداة مكملة ومصححة، ومنسقة للعملية التربوية يشاركهما العديد من المؤسسات الأخرى فى المجتمع فى التأثير فى شخصية الفرد وصولاً للأهداف التى تسعى العملية التربوية لتحقيقها وفى مقدمتها الوصول بالإنسان إلى درجة الكمال البشرى، كلما أمكن ذلك.

١ـ دور الأسرة فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية

الأسرة هى أقوى وأهم المؤسسات التربوية فى حياة الانسان، وإن العلاقة بين الزوجين علاقة مودة ورحمة، يشع منها التعاطف ويفوح منها عبير الإيمان، وتتصف بأنها علاقة سكن ومودة وقرار، يحيطها الإسلام بكل رعاية، وضمانات تشريعية من أجل تهيئة الجو الطاهر والبيئة النظيفة كى تتم التربية المحمدية على الطهر والعفة والاستقامة.

ولا تقوم أية مؤسسة من مؤسسات المجتمع مقام الأسرة، ولا تحل محلها وذلك لأن الإنسان مفتقر إلى الأسرة فى جميع مراحل عمره دون استثناء، وحاجته إلى أمه وأبيه، حاجة أصيلة وليست مرحلية أو موقوتة، فإذا كان الطفل فى حاجة إلى الأسرة فكذلك يحتاج إليها شاباً ورجلاً، لا يجد رعاية فى غيرها ولا ترضى فطرته بديلاً عنها، فيظل مفتقرا إلى حماها متعطشا إلى عواطفها ومشاعرها.[١]

وللأسرة عدة وظائف، تعمل من خلالها على استمرار النوع البشرى، وذلك لكونها تمد المجتمع الإنسانى بأعضاء جدد بصورة مشروعة، يقرها المجتمع المسلم ويعترف بها لأنها أتت إلى المجتمع عن طريق التشريع السماوى.

وتتعدد وظائف الأسرة ويقصد بها الأدوار المناطة بالأسرة وما تقوم به من أعمال لصالح أعضائها ولصالح المجتمع ككل[٢] ومن هذه الوظائف ما يلى:

(١) الوظيفة الاقتصادية (المادية).

(٢) وظيفة منح المكانة.

(٣) الوظيفة التربوية.

(٤) وظيفة الحماية.

---

(١) دكتور مصطفى عبدالواحد: الأسرة فى الاسلام ـ الطبعة الثالثة ـ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م، ص١٨.

(٢) دكتور نبيل محمد توفيق السمالوطى: الدين والبناء العائلى (دراسة فى علم الاجتماع العائلى) ـ دار الشروق ـ جدة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص٨٣.

(٥) الوظيفة الدينية.

(٦) الوظيفة الترفيهية.(١)

لقد كانت الأسرة وحدة اقتصادية مكتفية بذاتها، تقوم بإستهلاك ما تنتجه وكان أعضاؤها يستمدون مكانتهم الاجتماعية من مكانة أسرهم، فيتعلم أفرادها - عن طريق تقليد الأبناء للآباء، والبنات للأمهات - كل سلوكيات الحياة، وكذلك بعض الحرف، وشئون البيت، وكانت الأسرة مسئولة عن حماية أعضائها - من كل الأخطار - أما وظيفة الأسرة دينياً فتتمثل فى أنها كانت تغرس القيم الدينية والمعايير الأخلاقية الراقية، السائدة فى المجتمع، بحسب المعتقد الذى يعتقدونه.

ورغم ما كانت عليه الأسرة قديما، إلا أنها حديثا لا تخرج فى وظائفها كثيرا عما كانت تقوم به نحو أبنائها وبناتها، فهى بشكل عام تقوم بحفظ الجنس البشري، عن طريق الإنجاب والتناسل وتزويد المجتمع الإنسانى بأعضائه الصغار الجدد والعمل على تحقيق حاجاتهم الضرورية، كما تعمل على تهيئة الحياة لهؤلاء الأعضاء الصغار وإعدادهم للحياة إعدادا صالحا.(٢)

كما تقوم الأسرة بحفظ الجنس البشرى، عن طريق التناسل، وإمداد المجتمع بأفراد جدد، وأعضاء صغار، بصورة يقرها المجتمع ويحددها الشرع الحنيف لكى يحلوا محل آبائهم، فيستمر المجتمع ويتقدم، إلا أن الذى يدفع الإنسان إلى الإنجاب هو تلك الفطرة التى فطرنا الله عليها، وهى أن يكون لكل منا ذرية وحفدة من جنسه، يحملون اسمه ويكونوا امتدادا له من بعده، ويكونوا على هيئته وصورته البشرية.

ومن الوظائف الحيوية التى تقوم بها الأسرة كذلك وظائفها الخاصة فى ميدان التربية لا يغنى غناءها عامل آخر فعلى كاهل الأسرة يقع عبء كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية فى جميع مراحل الطفولة، بل فى المراحل التالية لها كذلك».(٣)

(١) دكتورعبدالخالق محمد عفيفى: الأسرة والطفولة - مكتبة عين شمس - القاهرة - ١٩٩٤، ص١٠٤.
(٢) دكتور محمد سعد القزاز، وآخر - مرجع سابق، ص٧٣.
(٣) دكتور مصطفى عبدالواحد - الأسرة فى الإسلام - مرجع سابق، ص ص١٨، ١٩.

الأسرة هى محضن الطفولة وهى الوسط الذى يتم فيه تحقيق وإشباع الحاجات الإنسانية، والدوافع الطبيعية وكذلك الاجتماعية، وتحقيق الهدف من الوجود الاجتماعى. واشباع الدوافع الجنسية عند الزوجين. فتعمل الأم على تكوين علاقات طيبة بين أبنائها وتقوم بالتربية والتقويم وتلقنهم مبادىء التربية الصالحة، من حسن معاملة وأدب فى الحديث والاحترام الكبير وعطف على الصغير ويقوم الأب بتوجيه أطفاله . منذ نعومة أظفارهم . وتربيتهم على المنهج الإسلامى القويم، ويوجههم نحو الخير. بالتركيز على القيم الخلقية الإسلامية مراعيا فى ذلك طبيعة الطفل وتكوينه واستعداداته وقدراته.

ولما كانت التربية من أخطر مهام الإنسانية، وأشقها على من يقوم بها . بداية بالوالدين . فإن الأب المسلم حين يربى أولاده التربية الإسلامية واضعاً نصب عينيه أهدافاً عليا وغايات سامية لهذه التربية، وهى محبة الله ورضائه، وطاعته، والرغبة فى الفوز بنعيمه ورضوانه وهو فى كل هذا «يدرك أبعاد المهمة الصعبة التى كلف بها. فإنه يستعد للصبر على مشقة التربية والتوجيه، التى تستفرغ جهد سنوات من العمر. فلا يمل طولها، ولا يزهد فى أجرها عند الله عزوجل، ويدرك إدراكا لا يخالجه شك. أن تحسين الخلق، واستبدال القبيح منه بالحسن، ممكن بالتدريب والمتابعة والمجاهدة».[1]

وتكمن الوظيفة التربوية للأسرة المسلمة فى تحقيق الطمأنينة والسكون النفسى لأطفالها عن طريق تنشئتهم على القيم الخلقية الإسلامية وخاصة ما يتصل منها بمجال التربية الجنسية، فى السنة النبوية، عن طريق حسن المعاشرة بين الزوجين، وانتقاء الألفاظ واختيارها فى التعبير عن المعانى، وعدم السماح بالتعرى، والإلتزام بالقيم النبيلة فى التعامل والتخاطب وذلك حتى يتربى الناشئة فى جو من الطهر والعفاف، بعيداً عن الصراعات النفسية، التى تولدها سوء التربية.

يعود الآباء والأمهات الأطفال على الإستئذان، فيشب الصغير على العفة والالتزام والنظام.. كما يتعود أيضا على غض البصر منذ الصغر، عن كل محرم، ولا يسمح له بالتعرى أمام إخوانه وأخواته، كما لا يسمح لإخوته وأخواته بالتعرى أمامه..

---

(١) عدنان حسن صالح باحارث . مسئولية الأب المسلم فى تربية الولد فى مرحلة الطفولة . الطبعة الرابعة . دار المجتمع للنشر والتوزيع . جدة . ١٤١٢هـ . ١٩٩١م، ص٩٦.

إن الأسرة مسئولة على الحفاظ على فطرة الطفل، لتبقى نقية سليمة، فإذا ما دخل مرحلة المراهقة، استوجبت هذه المرحلة من الوالدين تعاملاً من نوع آخر مع الشاب. تتناسب مع ظروف المرحلة وطبيعتها وامكانات وقدرات الشاب أيضا. في ضوء القيم والمعايير التي تحرص عليها السنة النبوية ولا يخفى على البصير أن مرحلة الشباب هذه تتسم بالنضوج الفكري والعقلي والعاطفي، وأنه يجب على الأبوين أن يستغلا هذا النضوج في صقل المعارف الإسلامية للشاب، وزيادة علومه، ودفعه في طريق البناء الفكري الإسلامي»[1] خاصة إذا علمنا أن التربية الخلقية في الإسلام تبدأ داخل الأسرة المسلمة باختيار الرجل زوجته الصالحة والتي هي بمثابة الوعاء الذي يحتضن الوليد ويغرس فيه القيم الخلقية النبيلة.

ومن الوظائف التربوية للأسرة في مجال تعزيز مفاهيم القيم الخلقية المرتبطة بالتربية الجنسية في السنة النبوية، أن الوالدين يعودان ولدهما على مكارم الأخلاق والفضائل الخلقية منذ طفولته، حتى يعتادها ويكتسبها وتصير جزءً من سلوكه إذا ما بلغ مرحلة الشباب.

إن الطفل الذي يتربى منذ صغره على الإيمان بالله تعالى، وعلى مكارم الأخلاق ونبيل الصفات، تتكون لديه الملكة الفطرية والاستجابة الوجدانية لتقبل كل خلق سني، وكل فضيلة كريمة، ورفض كل خلق دنيء وقيمة سالبة هابطة.

إن الوازع الديني الذي تأصل في ضمير الطفل، والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماقه ووجدانه، والمحاسبة النفسية التي سيطرت عليه في جميع أحواله.. كل ذلك بات حائلاً بينه وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة، والتقاليد الجاهلة الفاسدة.. بل إن إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقا أصيلا من أبرز أخلاقه[2] وهذه من ثمرات تربية البيت المسلم التي تنعكس على الأولاد

---

(1) محمد سعيد مولوي: كيف يربي المسلم ولده. الطبعة الثانية. رمادي للنشر الدمام. المملكة العربية السعودية. ١٤١٥هـ. ١٩٩٤م، ص٢٣٠.

(2) عبدالله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام. الجزء الأول. الطبعة التاسعة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. ١٤٠٦هـ. ١٩٨٥م، ص١٧٧.

فى طفولتهم، ومن ثم فى مرحلة شبابهم فيكونوا بذلك أمثلة ونماذج بشرية للشباب المسلم.

إن القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية، قيم ربانية وهى بذلك قواعد للسلوك البشرى، وإن المجتمعات الإنسانية بأسرها والأمم البشرية برمتها . يشيبها وشبابها . ونسائها ورجالها . وحكامها ومحكوميها حينما تأخذ بهذه المبادىء الخالدة، وتسير على هذه المفاهيم والمعايير، وتبتعد عن كل ما يؤذى الفضيلة والأخلاق لا شك أنها ستدخل فى رياض الطهر والنقاء وترتفع فى ظلال الأمن والاستقرار وتصل إلى ذروة المجد والسعادة، لأنها سارت فى الطريق الذى شرعه الله لها، وطبقت المنهج العملى الذى جاء به الإسلام.[1]

ومن أهم القواعد التربوية التى حثت عليها السنة النبوية المطهرة لسلامة أخلاق الشباب وتنمية شخصياتهم، وضمان قيمهم الخلقية نظيفة وتعويدهم على الطهر والعفة ومكارم الأخلاق، أنها وضعت خطوطا عريضة لذلك ويمكن أخذ بعض النقاط . على سبيل المثال . التى يمكن عن طريقها مساعدة الأسرة فى غرس القيم الخلقية الفاضلة فى الشباب المسلم، منها على سبيل المثال:

١ ـ الإحسان إلى الشباب بالتربية النبوية

يتربى الأولاد . البنون والبنات على منهج الوالدين فى الحياة، وما يكونا عليه، ذلك لأن التربية عملية مكتسبة يكتسبها الصغير من الكبير، والمتعلم من المعلم، والأقل خبرة من الأكثر خبرة.. فلقد روى عن أبى هريرة . رضى الله عنه . أنه قال: قال رسول الله . ﷺ «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء حتى تحسون فيها من جدعاء».[2]

وروى عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله . ﷺ : «لأن يؤدب الرجل ولده، خيراً من أن يتصدق بصاع».[3]

---

(١) المرجع السابق، ص٢٠٥.

(٢) مختصر صحيح مسلم . كتاب القدر . باب كل مولود يولد على الفطرة . الحديث رقم ١٨٥٢، ص٤٨٤.

(٣) سنن الترمذى: الجزء السادس . كتاب البر والصلة . باب ما جاء فى أدب الولد . الحديث رقم١٩٥٢، ص١٨٦.

ولما كانت التربية الإسلامية تستهدف إعداد المسلم العابد لله وحده، وهذا المسلم يكون فى معية الله الدائمة، فى السراء والضراء، فى الفقر والغنى، والمرض والصحة، فإن هذه المعية وهذه العبودية تستلزم من المسلم أن يحسن إلى كل شىء، وأهم من يحسن إليه ولده، وإحسانه إليه بتربيته إياه، وإعداده للحياة، لقول رسول الله ـ ﷺ : «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن»[1]. وهذا الأدب الحسن هو التربية التى تقوم على أساس من الإيمان الصادق وهذه التربية أفضل ما يقدمه والد لولده على الإطلاق.

قال رسول الله ـ ﷺ : «من ابتلى من البنات بشىء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار».[2]

أى أن الإحسان إلى البنين أو البنات بالتربية يكون سبباً لمرضاة الله تعالى ومن ثم دخول الجنة.

وقد روى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ : «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو «وضم أصابعه[3] أى أن من قام على مؤنه صغيرتين وتربيتهما، فليس له جزاء من الله إلا أن يرافق رسول الله ـ ﷺ ـ فى الجنة ـ جزاء ما قدم.

٢ ـ جماعة الرفاق

إن التربية الإسلامية على القيم الخلقية مكتسبة، يكتسبها الفرد ـ من أسرته ـ ثم من جماعة رفاقه، إذ أن أثرهم فى التربية بالغ، وما على الآباء والأمهات، وكذا المعلمين إلا أن يلاحظوا من يصادقه الأبناء والبنات ومن يهمهم أمر تربيتهم ـ إن كل من يهمه أمر التربية والأخلاق ينبغى له أن يكون قدوة صالحة، وأن يكون على صلة دائمة ومراقبة للشباب من خلال مراقبته لجماعة رفاقه وأصدقائه، فالمرء على دين خليله.

---

(١) المرجع السابق، الحديث رقم ١٩٥٣، ص١٨٧.

(٢) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب فى الإحسان إلى البنات ـ الحديث رقم ١٧٦٠، ١٧٦١، ص٤٦٥.

(٣) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب البر والصلة ـ باب فى الإحسان إلى البنات ـ الحديث رقم ١٧٦٠، ١٧٦١، ص٤٦٥.

وجماعة الرفاق هى تجمع غير رسمى للأطفال أو الشباب الذين هم فى مراحل عمرية متقاربة إذ يؤثر كل منهم فى الآخر، إيجاباً وسلبا..

فقد روى عن أبى موسى - رضى الله عنه، عن النبى - ﷺ قال: «إنما مثل جليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة».[١]

تربى السنة النبوية المسلم على اختيار الجليس الصالح، وذلك لما له من تأثير قوى فى شخصية جليسه، وذلك انطلاقاً من المبدأ التربوى القائل التربية عملية مكتسبة، أى تأتى عن طريق التفاعل والتعامل البشرى، والأخذ والعطاء ولقد قال رسول الله ﷺ فى هذا المعنى: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم منه يخالل».[٢]

كما قال رسول الله ﷺ فى معرض الكلام عن مصاحبة ومجالسة أهل الخير من الرفاق، وهو فى هذا يضرب المثل العظيم فى اختيار الإنسان لجليسه ورفيقه، فيقول: «المرء مع من أحب»[٣]. ويقول أيضاً: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقى».[٤]

٣ـ القدوة الصالحة

الآباء والأمهات.. قدوة للأبناء والبنات، وبحسب الآباء والأمهات يكون النشء، وتكون التربية.. لذلك كان لزاما على الوالدين أن يتحلى كل منهما بمكارم الأخلاق وحميد الخصال. حتى يتشبه الأطفال بهم ويشبوا على ما هم عليه، لقول الشاعر:

وينشأ ناشىء الفتيان منا

على ما كان عوده أبوه

---

(١) مختصر صحيح مسلم - كتاب البر والصلة - باب مثل الجليس الصالح - الحديث رقم ١٧٧٩، ص٤٦٨.

(٢) أحمد فايز: دستور الأسرة فى ظلال القرآن - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص٢٣٠.

(٣) د. عبدالمحسن عبدالعزيز حمادة: مدخل إلى أصول التربية - الطبعة الثانية - مطبعة السلام - الكويت - ١٩٨٤م، ص٤٩.

(٤) المرجع السابق، ص٤٩.

وقول رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟» وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾.(١)

تقع على الآباء والأمهات مسئولية تعزيز القيم الخلقية فى نفوس الشباب، ولهذا وجب عليهم أن يعطوا لهم القدوة الصالحة من أنفسهم، متمثلة فى حسن الخطاب وتهذيب اللسان، وجمال اللفظ والتعبير، كما يجب عليهم أن يجنبوهم صحبة الأشرار وقرناء السوء، حتى لا يكتسبوا منهم عاداتهم الرذيلة ويتأثروا بهم.. كما يجب عليهم أن يكونوا حذرين فى القول والعمل، غير متفحشين ولا لعانين.

إن القدوة الصالحة للشباب فى مجال القيم الخلقية تأتى أول ما تأتى من الأسرة، وحين تكون القيم الخلقية قيماً إسلامية، إيمانية كما هى فى ميزان الله، فإن المجتمع يكون متحضراً متقدما، ويكون ربانيا مسلما وإن من القيم الخلقية فى التربية الجنسية الحياء، إنه من صفات المسلم وإذا كانت الفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوءاتها الجسدية والنفسية وتحرص على سترها ومواراتها، فما ذلك إلا لأن الحياء من الإيمان، وهو فطرة إنسانية، بينما العرى يعد فطرة حيوانية، ولا يميل الإنسان إليه، إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان».(٢)

المعلم المسلم الكفء موجه ومرشد لطلابه، يعمل دائماً على تنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة، فمن خلال تعرضه لقول رسول الله ﷺ بالشرح والتحليل: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم»(٣) يستطيع أن يبين معنى الخلق، ومعنى كمال الخلق، وحسن الخلق، ومعنى الخيرية ولمن تكون، دوما واجب الرجل نحو زوجته، وما واجبها نحوه كل ذلك من خلال التحليل الدقيق والتعرض للحديث النبوى الشريف بالدراسة والتفسير.

---

(١) سورة الروم، آية ٣٠

(٢) أحمد فايز: دستور الأسرة فى ظلال القرآن، مرجع سابق.

(٣) سنن الترمذى، الحديث رقم ١١٦٢، ص١٣٥

وإذا تعرض المعلم لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى عدد فيه حقوق الزوجة المسلمة على زوجها، والذى قال فيه: «أى تطعمها إذ اطعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا فى البيت»[1] هنا يستطيع المعلم المسلم الناجح بالشرح والتحليل والتفصيل لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان يبين ما على الزوج نحو زوجته، تأكيدا لحسن القوامة، وأيضا يستطيع المعلم أن يتعرض بالشرح والتحليل لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى حجة الوداع، والذى يستوصى فيه الرجال بالنساء خير، فيقول «إنما هن عوان عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ألا إن لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن».[2]

يستطيع المعلم المسلم الكفء أن يحلل هذا الحديث النبوى الشريف ويستخرج منه حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها كذلك، ويبين أن هذا الدستور النبوى فى حفظ الحقوق الزوجية سبق كل دساتير الأرض (الوضعية) التى تعرضت لحقوق الإنسان وتحديدها وضماناتها.

وبهذا يمكن للمعلم أن يوضح لطلابه أن السنة النبوية هى المفسرة لما جاء محملاً فى القرآن الكريم، قد سبقت كل الدساتير الوضعية، وكل الأفكار والمبادىء والايديولوجيات والمذاهب البشرية التى تعرضت لحقوق الإنسان، وكذا الواجبات والحقوق الزوجية.

يستطيع المعلم أن يوضح لطلابه معنى الوعظ، كما جاء بالآية القرآنية فى معرض تربية وتأديب الزوج زوجته وكذلك معنى الهجر فى المضاجع، ومعنى الضرب، وهذه جميعا، وسائل وطرق تقويم الزوج إذا خرجت المرأة عن الطاعة المشروعة، كما يبين الحديث النبوى الشريف ما يجب على الرجل قبل هذا من حقوق ملزمة وواجبات حتى يستطيع أن يكون أهلاً بالقوامة وحرياً بها.

(١) رياض الصالحين، الحديث رقم ٢٧٨، ص١٧٢.
(٢) رياض الصالحين، الحديث رقم ٣٧٧، ص١٧١.

إن المعلم المسلم الكفء صياد ماهر للفرص والمواقف التربوية داخل غرفة الدراسة، يستطيع أن يستثمرها من خلال التعرض لبعض ألفاظ الحديث النبوى أو الآية القرآنية الكريمة التى يحتوى عليها المنهج الدراسى، وبالتالى يستطيع أن يثبت لدى الطلاب أفكارا تخدم التربية الجنسية، ومفاهيم وقيم لا غنى للطلاب عنها، فإذا تعرض لشرح قول رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور».[١] يستطيع المعلم أن يوضح لطلابه معانى الألفاظ التى جاءت بالحديث النبوى الشريف. منها لفظة «دعا» وأيضا لفظة «حاجته» ولفظة «التنور» ويبين كيف وضحت السنة النبوية التوجه الإسلامى للتربية الجنسية المثلى، وكيف تكون طاعة الزوجة المسلمة لزوجها فى غير معصية لله تعالى أن يكون أهلاً للقوامة وحرياً بها.

يستطيع المعلم المسلم ـ الكفء ـ أن يوضح لطلابه ويشرح لهم من خلال تحليله للأحاديث النبوية العديدة من خلال المقرر الدراسى، ما للزوج على الزوجة من فضل وحقوق، طاعة لله تعالى وامتثالاً لأمره وأسوة برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى قال: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»[٢] وهنا يستطيع المعلم أن يشرح المقصود بلفظه «دعا» ولفظه «حاجته» و«التنور» ونبين كيف وضحت السنة النبوية التوجه الإسلامى للتربية الجنسية وكيف تكون طاعة الزوجة للزوج فى غير معصية لله تعالى.

وإذا تعرض المعلم لقيمة الحياء، تعزيزاً للقيمة الخلقية فإنه بذلك يتعرض لقيمة من أهم قيم التربية الجنسية وفيها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل، فى الثوب الواحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد.[٣]

يمكن للمعلم بتعرضه لشرح وتحليل هذا الحديث النبوى الشريف أن يؤكد القيم الخلقية للتربية الجنسية فى السنة النبوية المطهرة وذلك من خلال تعرضه بالشرح ـ قدر

(١) سنن الترمذى، الحديث رقم ١١٦٠، ص١٣٤

(٢) المرجع السابق، حديث ١١٦٠، ص١٣٤.

(٣) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم ١٥٩، ص٥١

المستطاع ـ لمفهوم عورة الرجل، وعورة المرأة، ومفهوم يفضى.. وغيرها من المفاهيم التى شملها الحديث النبوى الشريف وتوضح القيم الخلقية الإسلامية فى التربية الجنسية فى السنة النبوية، وكيف تفعل هذه القيمة فى المجتمع والفرد، وكيف أننا فى حاجة ماسة فى مجتمعنا المعاصر إلى مثل هذه المفاهيم وتوضيحها وتوصيلها إلى الشباب المسلم ليتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ القدوة والمثل الأعلى.

قد يتعرض المعلم من خلال المنهج الدراسى لمادة الحديث النبوى الشريف، لقول رسول الله ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن».[1]

ويمكن للمعلم من خلال هذا الحديث أن يوضح ما ينبغى على الفتاة البكر، وما ينبغى على الثيب التى سبق لها الزواج، إذا قدمت أحداهما للزواج، فالبكر تستأذن والثيب والأيم تستأمر، كل ذلك حفاظا على حقوق المرأة، وضعها ومكانتها فى المجتمع المسلم.

يوضح المعلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأيم أولى بنفسها من وليها والبكر تستأمر فى نفسها».[2] فيقال للرسولﷺ يا رسول الله: إن البكر تستحى أن تتكلم فيقول ـ صلى الله عليه وسلم: (إذنها سكوتها).

وعلى عاتق المعلم المسلم تلقى مسئولية تعزيز مفاهيم التربية الجنسية من خلال مادة الحديث النبوى الشريف وذلك بتعرضه للشرح والتحليل للأحاديث النبوية الشريفة، وبتعرضه لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر سرها».[3]

يستطيع المعلم المسلم أن يوضح من خلال هذا الحديث ما ينبغى أن يكون عليه العلاقة بين الزوج والزوجة المسلمة وذلك من خلال توضيحه لمفردات الحديث النبوى الشريف، بتعرضه لمفهوم تفضى، وسر وهكذا يمكنه المساهمة فى تعزيز القيم والمفاهيم المعبرة عن التربية الجنسية فى السنة النبوية، بطريقة علمية وعفيفة وبشكل مهذب

---

(١) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم ٨٠٢، ص٢٠٨

(٢) سنن ابن ماجه، الحديث رقم ١٨٧٠، ص٦٠١.

(٣) مختصر صحيح مسلم، الحديث رقم ٨٣١، ص٢١٥.

ويخدم المنهج الدراسى ويؤدى الهدف الدينى المنشود من خلال مواقف تعليمية وتربوية هادفة.

ولا شك أن الأحاديث النبوية التى تخدم التربية الجنسية فى السنة النبوية من خلال المنهج الدراسى يمكن أن يستثمرها المعلم لصالح الطالب ويتعرض من خلالها للتربية الجنسية فى أطهر صورها وذلك بالتعرض والشرح والتفسير والتحليل للمفاهيم التى تحتوى عليها الأحاديث النبوية الشريفة، ويحاول أن يستخرج ما يفيد هدفه وما يخدم مراده دون اسفاف أو خروج عن المعنى المرغوب فيه.

٨ـ دور المدرسة فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية:

الأسرة هى أهم المؤسسات الاجتماعية التى تقوم بعملية التربية، وتنشئة الصغار ولا تقل كل المؤسسات التربوية والاجتماعية الأخرى من قيمة الدور التربوى الذى يجب أن تلعبه الأسرة، وإن المدرسة باعتبارها مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع بغرض التربية والتعليم تعد أخطر تلك المؤسسات وأهمها، وأكثرها قدرة على تحقيق المسئوليات والأعباء التربوية[١] وذلك لعدة اعتبارات، من أهمها:

(١) المدرسة هى الجهة الوحيدة التى أنشأها المجتمع وأناط بها مسئولية تحمل الأعباء التربوية والتعليمية من خلال المناهج والمقررات الدراسية والأنشطة المدرسية.

(٢) المعلمون وهم الذين يقومون بعملية التربية والتعليم فى المدارس مؤهلين عقليا وخلقيا، وعلميا ومهنيا، وقد اعدوا من أجل القيام بهذه المهمة.

(٣) تلاميذ المدارس يختارون وفق شروط وضوابط.. بحسب ما تمليه اللوائح والضوابط.

(٤) تتلاءم الأهداف التربوية وحاجات نمو التلاميذ، وحاجات المجتمع. وتقع المهمة على عاتق المدرسة.

---

(١) د. عبدالمحسن عبدالعزيز حمادة، مدخل إلى أصول التربية، الطبعة الثانية، مطبعة السلام، الكويت، ١٩٨٤م. ص٤٩.

(٥) تملك التربية المدرسية مجموعة من الأساليب والطرق والوسائل تساعد على تحقيق أهدافها التربوية والخلقية ولا تتأتى لغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى التى توجد فى المجتمع.

(٦) تخضع التربية المدرسية للتقويم المستمر، وذلك تبعاً للتطوير والتغيير المواكب للتغيرات المحلية والعالمية.

(٧) التربية المدرسية عامة، وموجهة إلى جميع أطفال المجتمع ولا يستثنى منها البعض ولا يفضل فيها بعض على بعض بل إن جميع أبناء المجتمع فى المدرسة يتلقون مناهج دراسية واحدة وفرصا تعليمية واحدة وأنشطة مدرسية واحدة، وامتحانات واحدة، وفى إمكان كل فرد أن تظهر مواهبه من خلال المدرسة بحسب مبدأ الفروق الفردية بين الأفراد بحسب الامكانات المتاحة وعلى المدرس الجيد أن يكتشف هذه المواهب مبكرا ويوجهها وينميه.(١)

إن المدرسة هى بحق أقدر المؤسسات الاجتماعية جميعاً على الضبط والتنسيق والتصحيح فيما يخص أمر التنشئة داخل المجتمع.

تعد المدرسة إحدى الوسائط التربوية التى تساهم فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية وذلك باعتبار المدرسة هى «المنظمة الاجتماعية المتخصصة فى توجيه حياة الناشئين، والشباب، وهى تنفرد عن هذه القوى من حيث أنها بيئة اجتماعية تنظمها تقاليد واضحة، وتوجهها الأهداف الاجتماعية التى ارتضاها المجتمع على أرفع مستوى من التفكير والوضوح».(٢)

ولما كانت المدرسة هى أخطر المؤسسات التربوية التى تهتم بعملية التربية لكونها مؤسسة اجتماعية تربوية متميزة أنشأها المجتمع بهدف تربية الأجيال، فإن لها وظائف وأدواراً تربوية وتوجيهية لا تقتصر على التحصيل الدراسى المعرفى فقط بل تتسع لتشمل سلوك الطلاب واتجاهاتهم وقيمهم.

---

(١) المرجع السابق، ص٤٩.

(٢) الدكتور محمد الهادى عفيفى، فى أصول التربية، «الأصول الثقافية للتربية»، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٢٤٩.

ومن هذه الوظائف ما يلى:

١ ـ المدرسة وسيلة لنقل الثقافة بين الأجيال (الآباء والأبناء والمسلمون والمتعلمون).

٢ ـ المدرسة وسيلة للتعرف على الموهوبين من أبنائها (من خلال الأنشطة المدرسية).

٣ ـ المدرسة عامل للتماسك الاجتماعى والأخلاقى بين أبنائها بعضهم البعض.

٤ ـ المدرسة وسيلة للتطوير والتغيير والتجديد من خلال ما يستجد من أفكار ونظريات وتطبيقات تربوية.

٥ ـ المدرسة مركز إشعاع ثقافى فى البيئة من خلال علاقة المدرسة بالبيئة المحيطة.

٦ ـ تعمل المدرسة على تقوية الأواصر والعلاقات بين أبنائها.

٧ ـ المدرسة بديل عن الأسرة إذ تعمل على الضبط والتصحيح والتغيير من خلال ما تعززه لدى التلاميذ من قيم ومفاهيم واتجاهات مرغوب فيها.

٨ ـ المدرسة وسيلة للاتصال العالمى وذلك من خلال تعرضها للمستجدات العلمية والأفكار والنظريات العلمية الجديدة.

٩ ـ المدرسة أداة استكمال وتصحيح وتنسيق.

إن القاسم المشترك بين وظائف المدرسة جميعها هو القيم الخلقية إذ تقوم هذه الوظائف جميعها، وبلا استثناء على مجموعة من القيم التى ارتضاها المجتمع الدالة عليه، والمعبرة عنه تماماً، وتقوم كل هذه الوظائف التربوية فى المدرسة على كاهل المعلم.

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن:

من هو المعلم المقصود؟ وما أدواره ووظائفه؟ وما خصائصه وصفاته، وما هى المواد التى يستطيع أن يغرز عن طريقها مفاهيم القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية ـ على وجه الخصوص ـ من خلال السنة النبوية؟

●●●

١ ـ المعلم المقصود

إنه المعلم المسلم، الكفء، المعد إعداداً متكاملاً ومتوازنا (إعدادا عاماً، وأكاديميا، تخصصيا . إعداداً تربوياً) إنه المعلم المطبوع والمصنوع فى وقت واحد .. توفرت لديه الرغبة فى أن يكون معلماً، فضلاً على أنه تربى وتخصص من خلال مؤسسة معدة لذلك، هو محب لمهنته راغبا فيها، عاملاً على إعداد الأجيال الناشئة الصاعدة الصالحة للمجتمع.

٢ ـ ما أدوار ووظائف المعلم الكفء؟

إن المعلم الكفء هو الذى لا يقتصر دوره ووظيفته على التلقين اللفظى لمعلومات مجردة، بهدف الحفظ والاستظهار، وإنما هو المعلم الذى يقوم بعدة أدوار تربوية وإنسانية وأخلاقية داخل حجرة الدراسة وأيضاً داخل المدرسة، وكذلك داخل المجتمع المحلى إذا اقتضت الضرورة لذلك.

إن المعلم الكفء هو الذى يستطيع أن يعزز مفاهيم القيم الخلقية . بصفة عامة، والقيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية . على وجه الخصوص . فى نفوس طلابه وأبنائه، ويهتم بتنشئتهم التنشئة الصالحة، المتمشية مع متطلبات الدين الإسلامى الحنيف.

٣ ـ صفات هذا المعلم وما خصائصه

إن المعلم المسلم الذى أعد إعداداً علمياً عاماً، وتخصصيا وتربوياً وتميز بسلامة العقيدة ووضوح الاتجاه، والخلق الحسن، وتحلى بالصدق والأمانة والورع، ومراقبة الله تعالى فى سره وعلانيته، وكل ما يصدر عنه من فعل أو سلوك.. هذا المعلم الذى تربى على الفضيلة ومكارم الأخلاق والإخلاص لله تعالى، استشعر أن الله معه فى كل سكناته وحركاته، مطلع عليه، ومحاسبه على الصغيرة والكبيرة، لا شك أنه المعلم النموذج والمثال، الذى تستهدفه العملية التعليمية والتربوية من أجل إعداد جيل مسلم، تقى نقى، عفيف سوى الشخصية قادر على العيش فى مجتمع متغير ومتطور، منتج ومطور لمجتمعه.

المعلم المسلم الذى اتصف بمكارم الأخلاق، وتحلى بجميل الصفات، وتربى على القيم الخلقية الإسلامية واستشعر قول الله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1] هذا المعلم جدير به أن يحاسب نفسه، ويزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع، فلا يقول إلا خيراً ولا يدل تلاميذه إلا على كل بر، لأنه على ثقة بأن الله تعالى المطلع عليه ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾.[2]

إذا ما تحلى المعلم المسلم بالقيم الخلقية التى تضمنتها التربية الإسلامية وطبقها على نفسه أولاً، كان حرياً به أن يكون قدوة لطلابه، ومعلماً ووالداً وموجهاً ومرشداً وعضواً صالحاً فى مهنة شريفة، وعضواً نافعاً فى مجتمع إيمانى، واستطاع بفضل الله تعالى له أن يؤثر التأثير المطلوب الموصل لأهداف المجتمع المسلم، من خلال العملية التعليمية، إنه حريص على ألا يسمع إلا خيراً ولا يبصر إلا خيراً ولا يقول إلا خيراً.. وهو حريص على أن يترك مالا يعنيه، لأنه حريص على إسلامه ودينه وهو فى هذا كله لا ينسى قول الله تعالى: «إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً».[3]

من وظائف المدرسة التربوية والتعليمية أنها عامل للتماسك الاجتماعى داخل المجتمع المسلم ولا يتم التماسك الاجتماعى إلاعن طريق تعزيز القيم الخلقية فى التربية الإسلامية من خلال التنشئة الصالحة، ولا يقوم بهذا على أفضل وجه وخير قيام إلا المعلم المسلم.

من وظائف المدرسة أنها بديل عن الأسرة، إنها تقوم بتشريب الطلاب عادات وقيم المجتمع المسلم ومعايير ضبطه وسلوكه، وبالتالى يتعود على القيم الخلقية حتى يصبح جزءاً من حياته وكيانه.. ومن يقوم بغرس هذه القيم ويقوم بهذا الدور سوى المعلم المسلم، الحريص عليها، والذى يقوم بدور البديل عن الأب المسلم الذى يهمه أمر تنشئة أبنائه وبناته على الفضيلة ومكارم الأخلاق والتقوى؟

(١) قرآن كريم ـ سورة الحديد ـ من الآية ٤.
(٢) قرآن كريم ـ سورة غافر ـ الآية ١٩.
(٣) قرآن كريم ـ سورة الإسراء ـ الآية ٣٦.

من وظائف المدرسة أنها أداة استكمال للبيت، فما لم يستطع البيت المسلم القيام به فى مجال التنشئة والتربية من قيم وسلوكيات، ومهارات وأخلاق، تقوم به المدرسة خير قيام، ومن يقوم بهذا الدور سوى المعلم المسلم.. إنها جزء من أدواره ووظيفة من وظائفه التى يقوم بها تجاه مجتمعه ودينه.. وهو فى حالة قيامه بهذا الدور يصحح المفاهيم الخاطئة ويقوى المفاهيم الصحيحة فى نفوس الطلاب، ويعدل من إتجاهاتهم نحو الخير والقيم الخلقية الإسلامية، قدر استطاعته وبما تسمح به الظروف وما يستثمره من فرص ومواقف تربوية.

إن المعلم المسلم محب للخير، للحب للحق والحقيقة، نازع إلى الكمال البشرى دائماً، مستهدفاً إياه، متمسكاً بقيم خلقية أصيلة مصدرها تشريع السماء.. سباق للخير دائماً، خلقه الإسلام الذى يدعو إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال.. من صفاته الورع والحياء إذ حضر إلى حجرة الدراسة فرح طلابه بمقدمه، وإذا تكلم أصغوا إليه بعقولهم وجوانحهم، وإذا أوصى بشىء التزموا به واذا نهاهم عن شىء انتهوا وإذا سئل أجاب إجابة المقنع المتمكن، وكان لورعه أقوى الأثر فى استجابة طلابه وثقتهم بصحة جوابه.(١)

ومن عوامل نجاح المعلم وتعزيزه المفاهيم والقيم الخلقية المتعلقة بالتربية ـ عامة ـ والتربية الجنسية ـ خاصة ـ ورع المعلم وخشيته لله تعالى ومراقبته الدائمة له سبحانه وذلك ناتج عن سلامة عقيدته ووضوح الهدف الذى يسعى لتحقيقه.. إنه القدوة والنموذج، المتخلق بخلق الإسلام، وهو ما يحرص عليه طلاب العلم فى معلميهم ثقة فى صلاح العقيدة، وثقة فى غزارة العلم، وثقة فى كرم خلقه، وثقة فى صدق الود، واطمئنان إلى كل ما يصدر عنه من رأى وسلوك، وثقة الطلاب بمدرسهم هى بدء التحول إلى الاقتداء به ولا إصلاح من غير أسوة حسنة، ولا أسوة من غير ثقة واطمئنان، ولا ثقة من غير ورع ولا ورع من غير قيم أخلاقية إيمانية مصدرها الدين الإسلامى الحنيف الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده وجاء به المعلم الأعظم، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن الشك إلى اليقين.

---

(١) دكتور عابد توفيق الهاشمى: طرق تدريس التربية الإسلامية ـ الطبعة الثالثة عشرة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، ص٣٦.

إن المعلم المسلم مهما كان تخصصه، وبغض النظر عن المرحلة التى سيقوم بالتدريس فيها، هو المسئول عن تربية الأجيال وإعدادها ليكون منها أعضاء صالحين للمجتمع، لذا فهو سيقوم بمهمة كبيرة وعظيمة، فهو المسئول عن تهذيب أخلاق أولئك الناشئين وتنمية سلوكهم».[1] ولا يتم ذلك إلا عن طريق القيم الخلقية المستمدة من التشريع السماوى. والتى تحقق أهداف الفرد ومن ثم أهداف المجتمع المسلم مع الأخذ فى الاعتبار أنه لابد من التعاون بين البيت والمدرسة، وجميع مؤسسات المجتمع، ليكون هدف كل المؤسسات الاجتماعية فى داخل المجتمع تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، وتطبيق شريعته بتعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية إذ أنها من أهم الوسائل المعينة للشباب على التنشئة الصحيحة التى ربى الله عليه أنبياءه ورسله وربى محمد ﷺ أصحابه.

ثانيا: مجالات القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى ظلال السنة النبوية

المعلم المسلم «الكفء» هو الذى يستطيع أن يوظف المواد الدراسية التى يقوم بتدريسها، باعتبارها «المجالات» التى يستطيع أن يغرس القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية من خلالها، كلما سمحت له الظروف وتهيأت له الأسباب والمناسبات.. ومن هذه المواد «المجالات» التى يدرسها المعلم ما يلى:

(١) مادة تفسير القرآن الكريم.

(٢) مادة الحديث النبوى الشريف.

(٣) مادة العقيدة الإسلامية.

(٤) مادة الأخلاق الإسلامية.

(٥) مادة السيرة النبوية.

(٦) مادة التوحيد.

(٧) مادة الفقه الإسلامى.

---

(١) دكتور عبدالمحسن عبدالعزيز حمادة: مدخل إلى أصول التربية . مرجع سابق، ص١٧٧.

ويمكن اختيار بعض المواد على سبيل المثال . لا الحصر . لمعرفة مدى استثمار المعلم المسلم لها لتوصيل بعض المفاهيم المتعلقة بالقيم الخلقية فى مجال التربية الجنسية .. إلى طلابه وما من شك أن للمعلم المسلم الذى تغذى بالاسلام ونشأ عليه وأعد إعداداً متكاملاً يعرف الأهداف التربوية التى ينشدها والتى يعى إلى تحقيقها وصولاً بالشباب المسلم إلى درجة الكمال البشرى كلما أمكن ذلك، ووصولاً بالمجتمع إلى اعلى درجات الإنسانية فى الطهر والنقاء.

١ ـ مادة تفسير القرآن الكريم

للتربية الإسلامية . أهداف وغايات، تسعى إلى تحقيقها، ولمادة تفسير القرآن الكريم، أهدافها الخاصة بها ومن هذه الأهداف مايلى:[١]

١ ـ إجادة الطلاب قراءة الآيات القرآنية قراءة صحيحة.

٢ ـ استيعاب الطلاب معانى الآيات القرآنية، والوقوف على تفاصيلها.

٣ ـ إجادة الطلاب التعبير الصحيح عما تم فهمه من الآيات القرآنية.

٤ ـ الوصول إلى الأحكام التى تضمنتها الآيات القرآنية.

٥ ـ تنمية الروح الإسلامية لدى الطلاب، ومساعدتهم على التخلق بخلق القرآن الكريم.

يستثمر المعلم المسلم مادة التفسير فى مساعدة طلابه على التخلق بخلق القرآن الكريم، والتحلى بآدابه وسلوكياته، من خلال امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، عن طريق تفسير الآيات القرانية الكريمة التى يتعرض لها من خلال الدروس المقررة، والتى تتناول بعض القيم الخلقية الموجبة، فيعمل بها، والتى تتعرض لبعض القيم الخلقية السالبة فيحذر منها ويبين ضررها وخطورتها على الفرد وأيضا على المجتمع المسلم، وبذلك يقلع الطلاب عن كل خلق دنىء ويتمسكون بكل خلق سنى من أخلاق التربية الإسلامية.

---

(١) الدكتور إبراهيم محمد الشافعى: التربية الإسلامية وطرق تدريسها ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص١٦٧، ١٦٨.

يكفى المعلم المسلم إذا تعرض لتفسير قول الله تعالى: «وإنك لعلى خلق كريم»[1] أن يبين خلق رسول الله ـ ﷺ لطلابه، فيقتدوا به، وما يجب أن يتحلى به من صفات وقيم خلقية ليكون نموذجا للطالب المسلم والشاب الصالح، كما يجب على المعلم المسلم أن يكون قدوة لطلابه حتى يكون أكثر تأثيرا وفعالية فى طلابه، عليه أن يبين لطلابه دور القيم الخلقية المتعددة والكثيرة فى بناء المجتمع المسلم وحفظه واستمراره، وما تفعله القيم الخلقية السالبة من هدم وتدمير فى كيان المجتمع وأسسه.

يتعرض المعلم المسلم لتفسير الآية الكريمة: «وعاشروهن بالمعروف»[2] وهنا يجب عليه أن يبين معنى المعروف، وما على الزوج المسلم تجاه الزوجة من حقوق، وما عليها نحو زوجها من واجبات، وكذلك ماله من حقوق وما عليه من واجبات وما لهما من حقوق مشتركة وما عليهما كذلك من واجبات مشتركة كفلتها الشريعة الإسلامية حتى تتم السعادة الزوجية وتستمر حياة الأسرة المسلمة فى أمن وسلام.

وعلى المعلم المسلم أن يكون فى مقام الأب والمرشد والموجه والداعية والأخ والصديق فى سبيل غرس القيم الخلقية بالتربية فى نفوس طلابه الذين هم نصف الحاضر وكل المستقبل وهم عدة الأمة بلا منازع.

إذا تعرض المعلم لتفسير قول الله تعالى: ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾[3] ينبغى عليه أن يقف عند هذا الدعاء القرآنى الكريم، ويستنتج منه المعانى الكثيرة والعظيمة المتعلقة بالقيم الخلقية للتربية الجنسية، ويركز على هذه القيم ويحبب طلابه فيها ليشبوا على هذه القيم الإيمانية، ويلبوا الشعور الفطرى فى الإنسان طاعة لله وغضا لأبصارهم وحفظا لفروجهم، ورغبة فى مجتمع إسلامى فاضل.

كذلك إذا تعرض المعلم لتفسير قول الله تعالى: ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾[4] علق على معانى الكلمات وأوضح صفات الزوجة الصالحة الحافظة

---

(١) قرآن كريم ـ سورة القلم ـ الآية ٤.

(٢) قرآن كريم ـ سورة النساء ـ من الآية ١٩.

(٣) قرآن كريم ـ سورة النساء ـ من الآية ٣٤.

(٤) قرآن كريم ـ سورة النور ـ من الآية ٥٨.

لحقوق الله تعالى، والمراعية حق الزوج عليها طاعة لله، ورغبة فى ثوابه وعطائه، من خلال ذلك يتعرض لصفات الزوجة الصالحة ومعايير اختيارها لتكون زوجة له وأما لأبنائه، وبذلك يدعم عند الطالب القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية، باعتبارها ضوابط للسلوك ومحددات للفعل البشرى النموذجى المرغوب فيه.

أما إذا تعرض المعلم لقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات...﴾(١) فإنه يجب أن يقف بتلاميذه على كثير من القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية فى معنى «الاستئذان» ووجوبه وشروطه وكيفيته، ولمن ومتى.. وهكذا.

يقف المعلم على معنى «الحلم» لغة واصطلاحاً، ومتى يتم وما علاماته عند الشاب وعند الشابة، وما موقف الشاب منه، وما ضروراته، وما ضوابطه، ولماذا خلقه الله فى البشر.

يقف المعلم على معنى «العورات» بالنسبة للذكر والأنثى وما معناها لغة واصطلاحاً، وما الواجب على المسلم أن يستره وما المباح له فيكشفه.. وهكذا يتعرض المعلم لعدد من المفاهيم والمعانى، المتضمنة قيماً خلقية تخص مجال التربية الجنسية، خاصة والمعلم المسلم - القدوة والكفء - له تأثيره على الطالب، باعتباره ثقة وأميناً وحريصاً عليه، ولديه من المعلومات والمفاهيم الصحيحة المتعلقة بالمنهج الدراسى والتى تخدم القيم الخلقية المطلوبة، والتى لا يستطيع غير المعلم أن يوصلها إلى الطالب، بالطريقة المطلوبة والوقت المعين وفى حدود الأخلاق الإسلامية داخل حجرة الدراسة. وبذلك يكون تأثيرها أقوى وأعمق.

إن المعلم المسلم يستطيع عن طريق مادة تفسير القرآن الكريم أن يغرس فى نفوس طلابه القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية، بطريقة لا يستطيع غيره القيام بها وهو بذلك الصنيع يربط الإسلام الواقع الفعلى ربطا قائماً على كون الإسلام حلاً لمشكلات الواقع، وبناء كيانه، أفراداً وجماعات ودولاً وسداً لحاجاته المتجددة، ومعافاة لأمراضه، ونهوضاً به إلى أرقى المنازل وأرقى الدرجات، وأن البشرية لن تنهض من كبوتها فى

---

(١) قرآن كريم - سورة النور - من الآية ٥٨.

واقعها المر إلا بالإسلام[1] أخذاً بقيمه الخلقية وسيراً على نهجه القويم قولاً وعملا، عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

٢ ـ مادة الحديث النبوى

الحديث النبوى الشريف هو المصدر الثانى للتربية الإسلامية ـ بعد القرآن الكريم ـ وهو كل ما أثر عن الرسول ـ ﷺ ـ من أقوال وأفعال وتقارير أقرها الرسول ـ ﷺ ، من مواقف وتصرفات قام بها غيره وأقرها ـ ﷺ.

وللحديث النبوى مكانته المحفوظة فى التشريع الإسلامى ـ باعتباره المصدر الثانى وله أهدافه التربوية التى لا تختلف عن أهداف القرآن الكريم ـ دستور المسلمين.

ويلتقى الحديث النبوى مع القرآن الكريم فى الأهداف التربوية العامة «كهداية المسلمين وإرشادهم وتوجيه سلوكهم إلى ما فيه خيرهم فى الدنيا والآخرة، وإعدادهم للنهوض بمسئولياتهم تجاه الأمم جميعا، ويشتركان فى أنهما مصدرا تشريع إلهى».[2]

ويتبين من خلال الحديث النبوى أمور العبادات التى جاءت مفصلة بينما جاءت فى القرآن الكريم مجملة، وكذلك فى أمور المعاملات والأخلاق والعقيدة، ونظم الحياة العامة والخاصة.

ويمكن للمعلم المسلم الكفء أن يستثمر مادة الحديث النبوى فى تعزيز القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية كما جاءت فى الحديث الشريف، بطريقة واضحة ومؤثرة فى نفوس الطلاب، الأمر الذى يتحقق من ورائه الأهداف التربوية الإسلامية الصحيحة. التى تعمل على إعداد المسلم العابد لله وتكوين المجتمع المسلم الصالح، التقى النقى. وذلك عن طريق فهم ما يتناوله من أحاديث نبوية تتضمن قيما أخلاقية فى إطار التربية الإسلامية من السنة النبوية على وجه الخصوص، وذلك تربية للشباب المسلم المتطلع إلى غد أفضل وأطهر، والراغب فى حياة أسرية سعيدة قائمة على الطهر والنقاء والعفاف.

---

(١) دكتور عابد توفيق الهاشمى: طرق تدريس التربية الإسلامية ـ مرجع سابق، ص٦٠.

(٢) دكتور إبراهيم محمد الشافعى: التربية الإسلامية وطرق تدريسها ـ مرجع سابق، ص١٩٨.

كما يمكن للمعلم المسلم أن يوضح لطلابه من خلال ما يتعرض له بالشرح والدراسة من أحاديث نبوية أن الخلق الإسلامى، إنسانى الوجهة والتطبيق، ربانى المنبع والمصدر.. إنه إنسانى إذ يقرر حياة العفة والطهارة لأنه مبنى على الإيمان الصحيح، وهذا الخلق الإسلامى خلق قابل للتطبيق والتنفيذ على أرض الواقع ومن هنا يؤثر فى المجتمع المسلم فيعطيه القوة والمتعة، ويزيده صلابة واستقراراً.

إن القيم الخلقية فى السنة النبوية تستغرق كل حياة المسلم فى الزمان والمكان، وليست قاصرة على وقت دون وقت، أو مكان دون غيره إنها تشمل كل أنفاس المسلم، وحركاته وسكناته.. إنها معه إينما حل وحيثما كان، تهذبه وتصلحه، وترفعه أعلى مكانة بين المخلوقات لأن مصدرها إلهى.

القيم الخلقية فى السنة النبوية لكل فرد، الصغير والكبير، الضعيف والقوى، المرأة والرجل، الفقير والغنى.. إنها للأفراد والجماعات.. لأنها خيرة.. موافقة للطبيعة البشرية والفطرة النقية.. إنها قيم بناء، ليس هدم.. قيم حق.. ليس قيم باطل.. قيم ذكر وشكر لله وليست قيم جحود ونكران، ومن هنا نراها وقد شملت الحياة الإسلامية فرداً أو جماعة كما شملت كل مراحل عمره وولادته.

مادة الفقه الإسلامى

الفقه الإسلامى فرع من فروع التربية الدينية الإسلامية ويعنى «بدراسة العبادات من طهارة وصلاة وصوم وحج وزكاة.. إلخ، وبدراسة المعاملات من بيع ورهن وتجارة وزواج.. إلخ، كما يعنى أحيانا بدراسة الأخلاق الفردية والاجتماعية التى ينبغى أن يتخلق بها المسلم».[1]

ومعنى ذلك أن موضوع القيم الخلقية المتضمنة فى التربية الجنسية فى السنة النبوية أقرب ما تكون إلى دراسة الفقه الإسلامى، بهذه الصورة، وذلك لأن الفقه مرتبط بالقرآن الكريم. المصدر الأول للتربية الإسلامية، والفقه أيضا مرتبط بالسنة النبوية المطهرة.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥١.

الشارحة والمفسرة للقرآن الكريم، باعتبارها المصدر الثانى للتربية الإسلامية، والفقه الإسلامى لا ينفصل عن العقيدة الإسلامية، والتى هى موضوع فرع التوحيد.

وإذا قيل إن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، فإن الفقه بالتفقه وإن التفقه فى الدين من أفضل الأعمال وأجلها، وهو علامة الخير والبر، فقد قال رسول الله ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» وذلك «لأن التفقه فى الدين يحصل به العلم النافع الذى يقوم عليه العمل الصالح».[١]

عن طريق مادة الفقه الإسلامى يستطيع المعلم من خلال تزويده الطلاب بموضوعات الفقه من معاملات، وعبادات وأخلاق، أن يكسبهم المعرفة العلمية الصحيحة عن هذه الموضوعات، وهنا تظهر وظيفة المدرسة فى كونها أداة استكمال للمفاهيم والمعلومات والقيم والاتجاهات التى لم تستطع الأسرة القيام بها.. وإن المعلم هو الشخص الوحيد الذى يستطيع ذلك.

من خلال مادة الفقه الإسلامى يتعرف المعلم على مدى ما لدى الطلاب من أفكار ومعلومات خاطئة أو غير دقيقة يتعلق بموضوع ما من موضوعات الفقه، وبذلك تتضح وظيفة المدرسة فى كونها أداة تصحيح لما جاء به الطالب من أفكار خاطئة عن أسرته.. وهنا يظهر دور المعلم فى تعزيز المفاهيم المتعلقة بالقيم الخلقية للتربية الجنسية على وجه الدقة.. إذ يستطيع المعلم أن يصحح لطلابه المفاهيم الخاطئة ويعزز الصحيح منها.

من خلال مادة الفقه الإسلامى يدرس الطالب «الوضوء» ومن خلاله يتعرف على الطهارة ومن خلالها يتحسس أعضاءه، ويعرف أن «الأعضاء التناسلية ليست منفرة فى التربية الإسلامية. فالطفل يتعود الطهارة من صغره لاتصالها بالصلاة. وفى كتب الفقه تفصيلات كثيرة يدرسها الأطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة، التى هى أهم ركن من أركان الإسلام»[٢] وهنا يستطيع المعلم أن يستثمر هذه الفرصة ليغرس فى نفوس

---

(١) صالح بن فوزان بن عبدالله آل فوزان: الملخص الفقهى. الجزء الأول. العبادات. الطبعة الثالثة. دار ابن الجوزى. الدمام. المملكة العربية السعودية. ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م، ص٧.

(٢) على القاضى: أضواء على التربية فى الإسلام. دار الأنصار، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م، ص٨٥.

الأطفال والشباب القيم الخلقية المتصلة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية. بطريقة نظيفة، بعيدا عن الإثارة وحفاظا على الفطرة البشرية السليمة لطلابه، حتى ينظروا لهذه القيم نظرة إجلال لا نظرة ابتذال واستهتار أو نظرة تنقصها قدرها وتحط من شأنها فى حين أن السنة النبوية وضعتها فى مكانتها اللائقة بها.

يدرس الطالب فى مادة أو مقرر الفقه الإسلامى موضوع الغسل، وكيفيته، وحكمه وضرورته، وصفته، ومتى يجب، وصفة المغتسل، والنهى عن النظر ساعة الغسل، وموضوعات أخرى. كلها متصلة بالقيم الخلقية المتصلة بالتربية الجنسية، والكثير من طلابنا فى حاجة إلى توضيحها والتعليق عليها ومناقشتها.. ومعرفة ما ينبغى على الطالب فعله إذ أحدث أو احتلم، وهنا يجىء دور المعلم فى توضيح وتعزيز القيم الخلقية المتعلقة بهذا الموضوع الحيوى لمرحلة الشباب.. والذين لا يجدون من يوجههم الوجهة العلمية الإيمانية الصحيحة من كل أفراد المجتمع سوى المعلم.

يدرس الطالب من خلال مادة الفقه الإسلامى موضوع «النكاح» فيتعرف على صفات ومعايير الزوجة الصالحة، والزوج الصالح.. كما يتزود ببعض الأمور المتعلقة بهذا الموضوع والتى هى ما يحرص عليه موضوع القيم الخلقية للتربية الجنسية، وللمعلم المسلم دور كبير فى هذه الناحية، إذ يمكنه توصيل المعلومات والمفاهيم المتعلقة بالقيم الخلقية للتربية الجنسية بطريقة تحبب وترغب الشباب فى الزواج وتزهدهم فى التبتل والترهب.. ترغبهم فى تكوين أسر مسلمة من أجل قيام المجتمع المسلم.

يتعرف الطالب من خلال موضوع «النكاح» على أنواع النكاح المحلل والمحرم، ولماذا كان هذا محللاً وجاء الآخر غير ذلك.. وما ينبغى للمسلم معرفته من معلومات ومفاهيم وقيم تتصل بهذا الموضوع وبالتالى نستطيع القول: أن موضوع النكاح وهو أحد موضوعات الفقه الإسلامى وهو من أهم موضوعاته اتصالاً بالقيم الخلقية للتربية الجنسية، ولا يستطيع غير المعلم المسلم أن يغرس مثل هذه القيم فى نفوس الشباب المسلم.

إن المعلم المسلم أيا كان تخصصه أو موضوع درسه فإنه يستطيع أن يؤثر فى طلابه التأثير الأمثل فيغرس فى نفوسهم القيم الخلقية الأصيلة المتصلة بالتربية الجنسية،

فيعودهم على التفكير العلمى السليم، ويحببهم فى قيم الإسلام النبيلة، فينشأوا على حب الخير ومكارم الأخلاق، ولا يتم ذلك للمعلم إلا أن يكون هدفه وسلوكه وتفكيره ربانيا.. وأن يكون مخلصا، وهذا من تمام صفة الربانية وكمالها.. وأن يكون صبوراً على معاناة التعليم وتقريب المعلومات إلى أذهان الطلاب، لأن ذلك يقتضى مراساً وتكراراً، وتنويعاً للأساليب، ومكارهه للنفس على تحمل المشقة.. وأن يكون صادقا فيما يدعو إليه وعلامة الصدق أن يطبقه على نفسه، فإن طابق علمه عمله اتبعه الطلاب وقلدوه فى كل أقواله وأفعاله.. وأن يكون دائم التزود بالعلم والمدارسة له.. وأن يكون قادراً على الضبط والسيطرة على الطلاب، حازما وأن يربى فيهم روح التنافس الشريف والتجديد والابتكار والتحليل والاستنباط والاستدلال الصحيح.(1)

ثالثا: الأهداف التربوية للقيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية من خلال السنة النبوية

لا يمكن الفصل بين جوانب الشخصية الإنسانية المتكاملة، فصلا تعسفيا، إلا على سبيل المجاز، للدراسة فقط، كذلك لا يمكن الفصل بين الأهداف للقيم التربوية الإسلامية - فى القرآن والسنة - فصلاً حاداً، ومعنى ذلك أن الأهداف التى تحققها القيم التربوية الإسلامية العقدية مثلا لا يمكن أن يتم تحقيق القيم التربوية الأخرى «فكل هذه الأهداف مهما تعددت صورها، متكاملة، وكل نوع منها يربى جانباً معينا من جوانب الذات الإنسانية فى الإطار الذى رسمته الأيديولوجية الإسلامية(2) والتى حددتها مصادر التشريع الإسلامى (قرآن وسنة) إذ هما مصادر التربية الإسلامية الصحيحة.

ولما كانت الأهداف التربوية للقيم الخلقية للتربية الجنسية - فى هذه الدراسة - مستمدة من السنة النبوية المطهرة، وبالتالى لا مجال للخلاف عليها ولا الخوض فى الدخول فى مقارنات بينها وبين المذاهب والفلسفات الوضعية الأخرى التى تختلف قيمها باختلاف بيئاتها وفلاسفتها ومدارسهم الفكرية، وبناء عليه تختلف أهدافهم التربوية تبعا لذلك الاختلاف.

(1) عبدالرحمن النحلاوى: أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع ط/2 دار الفكر - دمشق - سوريا - 1403هـ - 1983م، ص171.

(2) دكتور عبدالجواد السيد بكر: فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف - مرجع سابق، ص179.

وأيا ما كان الأمر فإن قيمنا الخلقية - فى مجتمعنا الإسلامى - لا تفرض علينا من خارجه، ولا تستورد من شرق أو غرب أو من هنا أو هناك، وبالتالى لن تكون أهدافنا التربوية «صالحة لمجتمعنا الإسلامى إلا إذا كانت نابعة من تلك المبادىء ومن خصائص المجتمع الإسلامى، ومن تصور الإسلام للطبيعة الإنسانية».[١]

وبناء على ما سبق فإن الأهداف التربوية للقيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية من خلال السنة النبوية تمتاز بما تمتاز به السنة النبوية ذاتها، ففيها الثابت الذى لا يمكن تغييره، وفيها المتغير المتروك للإنسان بحسب الزمان والمكان وما يفرضه ظروف المجتمع وبالتالى فإن هذه الأهداف تجمع بين المثالية والواقعية، فهى مثالية لأنها مستخلصة من نصوص ثابتة، وهى واقعية لأنها تتعامل مع الواقع البشرى المعاش، وتنطلق منه وتعمل على ضمان الإطراد فى التغيير الإيجابى الفعال على ضوء هذه الثوابت والأساسيات.[٢]

ولقد إشتملت القيم الخلقية المتعلقة بالتربية الجنسية والمستمدة من السنة النبوية المطهرة عدة أهداف تربوية يمكن أن نتتبع بعضا منها من خلال بعض القيم - على سبيل المثال.

من هذه القيم الخلقية - قيمة الحياء، وقيمة غض البصر، من خلالهما نبين الأهداف التربوية المتعلقة بهذه القيمة على النحو التالى:

١ - الأهداف التربوية لقيمة الحياء

تضمنت قيمة الحياء - باعتبارها من أهم القيم الخلقية المتصلة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية مجموعة من الأهداف التربوية، روعى فيها الشمول والكلية والثبات والمرونة، الفردية والجماعية مع الأخذ فى الاعتبار ظروف واقع المجتمع المسلم، وحياته الإجتماعية والثقافية رغم تغير الزمان والأحداث والعصور والأماكن.

إن هذه الأهداف جميعا لا تهتم بجانب من جوانب الشخصية الانسانية على حساب جانب، ولا بنشاط على حساب نشاط آخر، ولكن تشمل جميع جوانب الشخصية الإنسانية.

---

(١) دكتور على خليل مصطفى أبو العينين: أهداف التربية الإسلامية، مصادرها أشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامى المعاصر (سلسلة بحوث فى التربية الإسلامية - رقم٢ - مكتبة إبراهيم حلبى المدينة المنورة - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ص٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٩.

وذلك لأن تنشئة المسلم التنشئة الإيمانية كما جاء فى تصور الإسلام للإنسان والكون والحياة، يحقق هذه الميزة (الشمول والتكافل).

إن القيم الخلقية فى السنة النبوية تستهدف تحقيق التربية الأخلاقية بصفة عامة.. ومن هذه القيم الخلقية قيمة الحياء.. الذى دلت عليه السنة النبوية المطهرة فى نصوصها أنه من الإيمان.. يتربى عليها كل فرد مسلم وذلك بهدف أن يكون عضواً خيراً من أعضاء مجتمعه ويصير لبنة صالحة فى أسرة مسلمة ومن ثم يسهم فى بناء المجتمع الآمن.

فقد قال رسول الله - ﷺ : «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».[1]

كما روى عن سالم عن أبيه أن رسول الله - ﷺ - مر برجل يعظ أخاه فى الحياء، فقال: «دعه فإن الحياء من الإيمان.[2]

وعن ابن عمر قال: «إن الحياء والإيمان قرنا جميعا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[3]. وقال - ﷺ - «الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة والبذاءة من الجفاء والجفاء من النار».[4]

- إن من أهداف القيم الخلقية للتربية الجنسية فى السنة النبوية، الاقتداء برسول الله - ﷺ لكونه القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة.

وإن خير من يقتدى به المسلم فى قوله وفعله، وكل حالاته، الرسول - ﷺ - الذى كان مثالاً يحتذى ونموذجاً يقتدى به فى الحياء وحسن الخلق وحسن المعاشرة وغض البصر وكف الأذى والخير لأهله، فعن عبدالله بن عبيد الله بن أبى عتبة - مولى أنس - قال: سمعت أبا سعيد قال: كان النبى - ﷺ - أشد حياءً من عذراء فى خدرها، وكان إذا كره عرفناه فى وجهه».[5]

---

(١) البخارى: الأدب المفرد - خرج أحاديثه ووضع حواشيه: محمد عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - باب الحياء - الحديث رقم ٥٩٨، ص١٨١.

(٢) المرجع السابق - الحديث رقم ٦٠٢، ص١٨٢.

(٣) المرجع السابق - باب الحياء - الحديث رقم ١٣١٣، ص٣٨٠.

(٤) المرجع السابق - باب الجفاء - الحديث رقم ١٣١٤، ص٣٨٠.

(٥) المرجع السابق، باب الحياء - الحديث رقم ٥٩٩، ص١٨١.

هكذا لقد اهتمت الأهداف التربوية بالإنسان ـ فرداً وجماعة ـ، وإن غرس حب الخير فى النفوس المؤمنة والتزود بالفضائل ومكارم الأخلاق مطلب وهدف فردى وجماعى فى نفس الوقت لقد جبل الإنسان على الخير، خاصة إذا كان مشروعاً، دلت عليه الشريعة السمحة، أنه الخير العام، الخير الشامل، خير الدنيا والآخرة، خير الفرد والجماعة، ولما كان الحياء مثلا من فضائل الخير وخصائص البر، بل هو مفتاح كل خير فلقد قال رسول الله ـ ﷺ : «الحياء لا يأتى إلا بخير». وقال ـ ﷺ : «الحياء خير كله» أو قال: «الحياء كله خير».[1]

كما إن تنمية الإحساس بالجمال من خلال التزين بالقيم الخلقية، خاصة قيمة الحياء، يعد قيمة تربوية تسعى إلى تحقيقها العملية التربوية من خلال السنة النبوية، وهذه القيمة ليست بعيدة عن نطاق الخبرة أو مجردة أو غير قابلة للتطبيق العملى، بل إن أهدافها ليست صعبة التطبيق، وهذا ما يمكن أن يقال عنه «إن الخطر فى التربية هو الإلتزام بأهداف مجردة خارجة عن نطاق الخبرة، مما يصعب تطبيقها وتأثيرها على هذه الخبرة، ومن ثم فإن الهدف السليم هو ذلك الذى يكتسب صفة تجريبية، وهو الذى ينمو ويتضح فى سياق اختباره فى مجال العمل والنشاط».[2]

ويؤكد هذا الهدف التربوى قول رسول الله ـ ﷺ : «ما كان الحياء فى شىء إلا زانه، ولا كان الفحش فى شىء إلا شانه».[3]

ومن أهداف القيم الخلقية: التربية الجنسية فى السنة النبوية ـ خصوصا قيمة الحياء والمراقبة لله، والإحسان ـ الاقتداء بالأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كان موسى ـ عليه السلام، حيياً، ستيراً، لا يرى من جلده شىء فقد روى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه أنه قال: كان موسى عليه السلام ـ رجلاً حيياً، قال: فكان لا يرى

(١) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب الحياء من الايمان ـ الحديث رقم٣١، ص١٥.

(٢) دكتور محمد عبدالهادى عفيفى: فى أصول التربية ـ الأصول الفلسفية للتربية، مرجع سابق، ص٨٢.

(٣) الامام البخارى، الأدب المفرد ـ باب الحياء ـ الحديث رقم٦٠١، ص١٨٢.

متجرداً . فقال بنو اسرائيل: إنه آدر، قال: فاغتسل عند مويه، فوضع ثوبه على حجر، فانطلق الحجر يسعى، واتبعه بعصاه يضربه: ثوبى حجر، ثوبى حجر!! حتى وقف على ملأ من بنى إسرائيل[1] فنزلت الآية القرآنية الكريمة:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾.[2]

- من الأهداف التربوية للقيم الخلقية فى مجال التربية الجنسية فى السنة النبوية الاقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فلقد ورث الصحابة رضى الله عنهم - مكارم الأخلاق وتربوا على حميد الخصال وكريم الفعال، علمهم المعلم الأول محمد - ﷺ - ومن بين هؤلاء الصحابة - النماذج البشرية فى الحياء - من كانت الملائكة تستحى منه مثل عثمان بن عفان رضى الله تعالى الذى قال عنه رسول الله - ﷺ «إن عثمان رجل حيى، وإنى خشيت إن أذنت له وأنا على تلك الحال، أن لا يبلغ إلى فى حاجته».[3]

وقال عنه - ﷺ - : «ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة».[4]

٢- الأهداف التربوية لغض البصر

لغض البصر عن المحرم عدة أهداف تربوية يجنيها المسلم، يمكن أن نحددها فى عدة نقاط كالآتى:

(أ) إن غض البصر عن المحرم يخلص قلب المسلم من الحسرة وآلامها، فإن من أطلق نظرة دامت حسرته، فأضر شىء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه، ولا صبر له عنه، ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه».[5]

---

(١) مختصر صحيح مسلم: كتاب ذكر الأنبياء وفضلهم - باب فى ذكر موسى عليه السلام - الحديث رقم ١٦١٠، ص٤٢١.

(٢) قرآن كريم - سورة الأحزاب - الآية ٦٩.

(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ٦٠٠، ص١٨٢.

(٤) المرجع السابق، الحديث رقم ٦٠٣، ص١٨٢.

(٥) ابن قيم الجوزية: إحكام النظر فى أحكام غض البصر - مرجع سابق، ص١٦.

إن العين هى مبدأ الزنا، ولذا تبدأ التربية الجنسية فى السنة النبوية بغض البصر، ومع أن حفظ النظر وغض البصر مهم إلا أنه عسير نظراً لأن كثيراً من الناس قد يستهين به ولا يقدره رغم أن كل الآفات تنشأ منه وإن النظر يزرع فى القلب الشهوة وكلما يخلو الإنسان فى ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة، وعنده ينبغى أن يقرر فى نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل، فإنه إن حقق النظر فاستحسن، ثارت الشهوة، وعجز عن الوصول. فلا يحصل له إلا التحسر، وإن استقبح لم يلتذ، وتألم لأنه قصد الإلتذاذ فقد فعل ما آلمه فلا يخلو من كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر».[1]

(ب) يهدف غض البصر إلى أن يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر فى العين، وفى الوجه، وفى الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة، تظهر فى وجهه وجوارحه.[2]

إن إطلاق البصر معصية لله تعالى لأن الله تعالى أمر المؤمنين أن يغضوا أبصارهم، قال تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون».[3]

وإذا كان إطلاق البصر معصية لله، وعدم استجابة لأوامره تعالى، فإنه فوق ذلك يورث القلب ظلمة، يظهر أثرها على الوجه والجوارح فيعمى القلب عن التمييز بين الحق والباطل، والسنة والبدعة[4] وإذا أظلم القلب جاءه البلاء من كل جانب وفى مقابل ذلك المضاد فإن غض البصر يورث القلب المسلم نوراً وبهاءً إذا ابتغى به المسلم طاعة ربه ومرضاته، وبالتالى طهارة قلبه وفرجه، وجوارحه.

(جـ) إن هدف غض البصر أن يورث المسلم «صحة الفراسة، فإنها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات

---

(١) دكتور إبراهيم محمد الجمل: الشهوة ـ مكتبة الخدمات الحديثة ـ جدة ـ د . ت، ص٨٤.

(٢) إبن قيم الجوزية: إحكام النظر فى أحكام غض البصر ـ مرجع سابق، ص٢١.

(٣) قرآن كريم: سورة النور، الآية ٣٠.

(٤) احمد فريد: تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف ـ تحقيق ماجد بن أبى الليل ـ مكتبة التوعية الإسلامية الطبعة الرابعة الجيزة ـ القاهرة ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص٣٩.

كما هى، والنظرة بمنزلة التنفس فيها، فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعداء فى مرآة قلبه فطمست نورها».[1]

كما إن غض البصر يورث صاحبه فراسة صادقة، يميز بها، وشجاعة فى الحق تلازمه، فكما أنه إذا أطلق بصره صار قلبه فى حالة عمى، فلم يعد يميز بين حق وباطل. فكذلك إذا كف نفسه عن الشهوات وبصره عن المحرمات، وتغذى بالحلال لم تخطىء فراسته.

(د) إذا غض المسلم بصره، تفتح له طرق العلم وأبوابه، وسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات.[2]

وإن من أطلق بصره تكدر قلبه، وإن من تكدر قلبه أظلم، وإذا أظلم انسد عليه باب العلم.

(هـ) غض البصر يورث قوة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة والبرهان[3] وإن من اجتمع له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة والبرهان هرب منه الشيطان.

(و) ومن أهداف غض البصر أن «يورث القلب سروراً وفرحة وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء أعاضه الله سبحانه وتعالى مسرة ولذة أكمل منها».[4]

إنها حلاوة الإيمان ولذته، التى هى أحلى وأطيب وأبقى وألذ مما صرف العبد بصره عنه من المحرمات وتركه خشية الله تعالى ولما كانت مخالفة النفس أمر يصعب على كل البشر لأنه تقييد لمتطلبات نفوسهم لذا أجزل العطاء لصانعى الطيبات، ولعاملى

---

(١) ابن قيم الجوزية: إحكام النظر فى أحكام غض البصر. مرجع سابق، ص٢٢.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣.
(٣) المرجع السابق، ص٢٣.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤.

الإحسان، السائرين على نهج الإسلام الخاضعين لأمر الله، كذلك أجزل العطاء لمن يقدرون على معصية فخافوه وراقبوه، فابتعدوا عنها، خاصة شهوة الفرج والعين.[1]

(ز) من أهداف غض البصر أن يتخلص «القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه.. ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب».[2]

إن من كثر طمعه وحرصه على الشهوات وطلبها زاد ضعفه وهوانه، ومن لا يؤثر عز النفس وتربيتها وتزكيتها والارتفاع بها على شهوة البطن والفرج، فهو ضعيف الإرادة ناقص الإيمان، ولقد استطاع العارفون إحكام شهواتهم وملذاتهم بتقربهم من الله والاستعانة به فى حل هذه المشكلات التى تتمثل فى رغبات النفس وتطلعاتها إلى الحرام. ورياضة النفس ومنعها اللذات طريق سليم لكبح الشهوة وتنظيمها.[3]

(ح) من أهداف غض البصر أنه يسد عنها بابا من أبواب جهنم، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه، وحجاب مانع للوصول.[4]

(ط) يهدف غض البصر إلى قوة العقل وزيادته وتثبيته إذ أن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب، وإن خاصة العقل ملاحظة العواقب، ومرسل النظر لو علم ما تجنى عواقب نظره عليه ما أطلق بصره».[5]

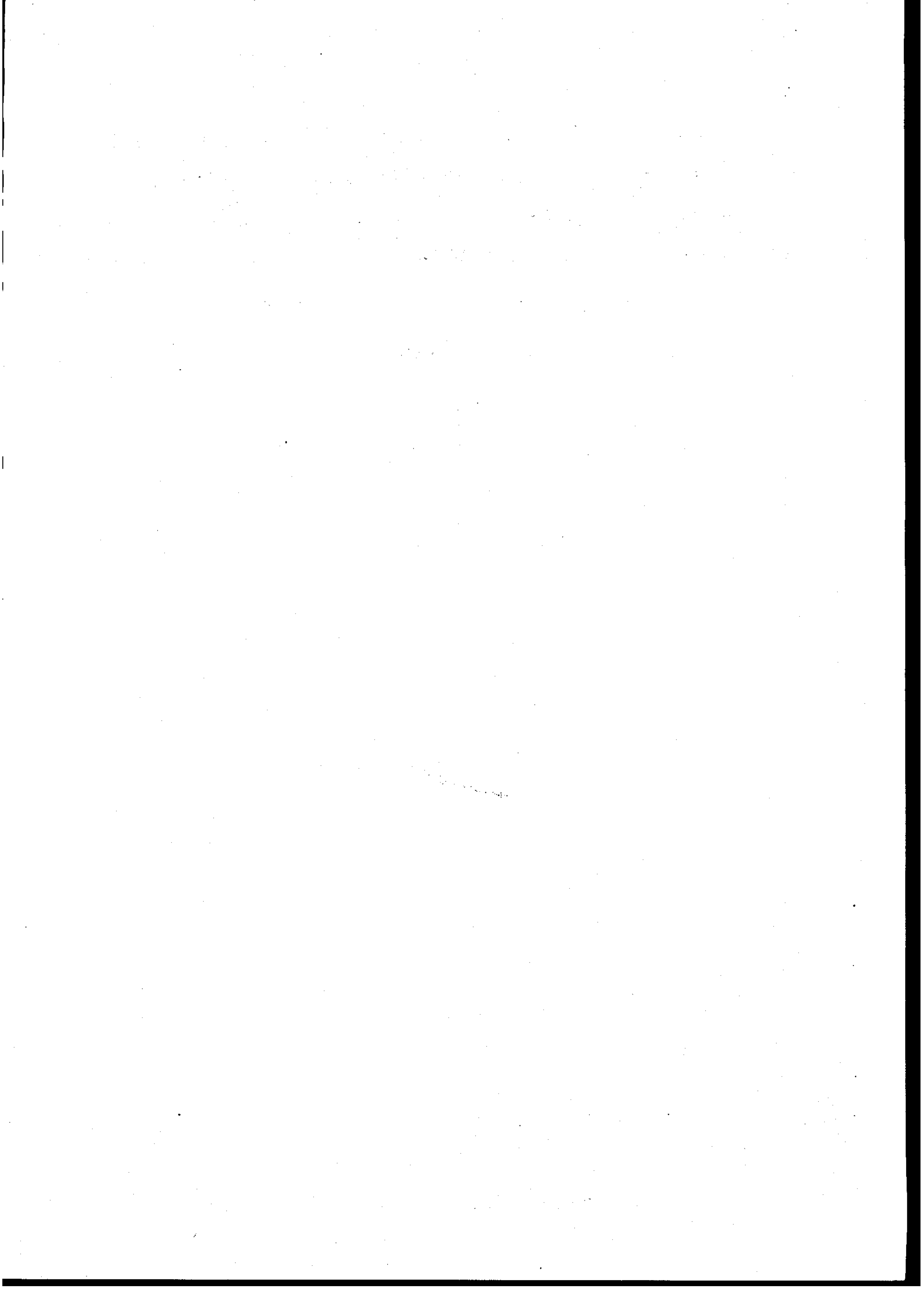
(ى) إن من الأهداف التربوية التى يجنيها المسلم نتيجة غض بصره عن الحرام أن يتخلص قلبه من سكر الشهوة، ورقدة الغفلة إذ أن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع فى سكره العشق فالنظرة كأس من خمر، والعشق هو سكر ذلك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الشراب، فإن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق قلما يفيق إلا وهو فى عسكر الأموات.[6]

---

(١) ابراهيم محمد الجمل: الشهوة . مرجع سابق، ص٨٠.
(٢) ابن قيم الجوزية: إحكام النظر فى أحكام غض البصر . مرجع سابق، ص٢٥.
(٣) إبراهيم محمد الجمل: الشهوة . مرجع سابق، ص١٣٧.
(٤) ابن قيم الجوزية: إحكام النظر فى أحكام غض البصر . مرجع سابق، ص٢٥.
(٥) المرجع السابق، ص٢٥.
(٦) المرجع السابق، ص٢٦.

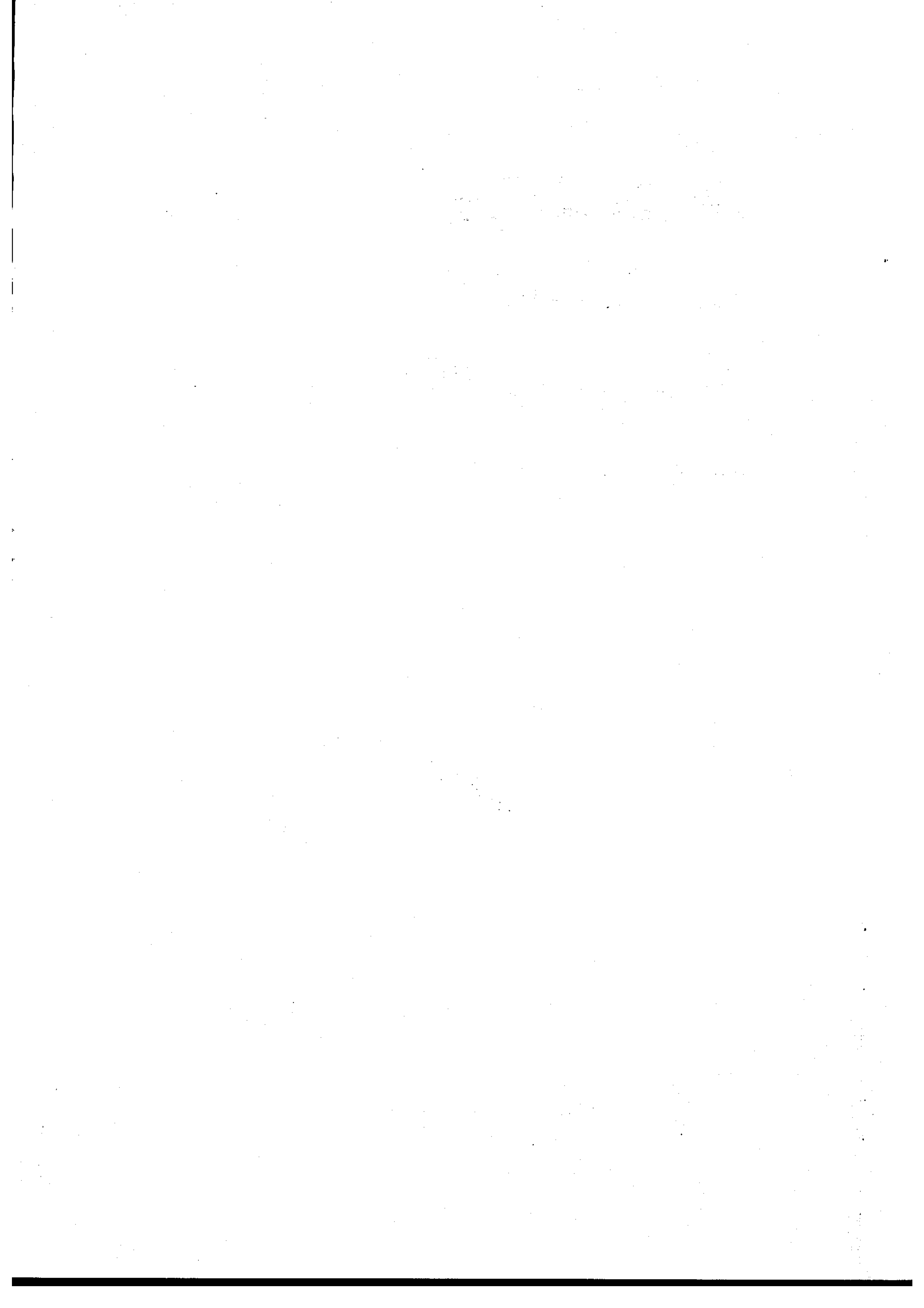
من خلال ما سبق يتضح لنا أن أهداف القيم الخلقية للتربية الجنسية المستمدة من السنة النبوية المطهرة، صالحة لمجتمعنا الإسلامى الذى نعيش فيه، فضلا على أنها مازالت تؤثر فى تشكيل حياة الشباب المسلم الذى يبحث عن الفضيلة من خلال التصورات الإسلامية التى جاءت بها الشريعة الإسلامية السمحة، وميزت مجتمعنا الإسلامى عن غيره من بقية المجتمعات.

■■■



ملحق المصطلحات المتعلقة بالتربية الجنسية فى السنة النبوية

○○○



أولاً: ذكرت السنة النبوية الأعضاء التناسلية أو ما يدل عليها بأسمائها الحقيقية:

ومن الألفاظ التى توحى بالجنس فى السنة النبوية، أعضاء الذكورة عند الرجل، أو الأنوثة عند المرأة، وذلك انطلاقا من قناعة مؤداها أن الأعضاء التناسلية ليست نجسة أو مدنسة فى التربية الإسلامية ـ فالطفل يعود الطهارة من صغره لاتصالها بالصلاة ـ وفى كتب الفقه تفصيلات كثيرة يدرسها الأطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة التى هى أهم ركن من أركان الإسلام.(١)

ويمكن استعراض بعض هذه الألفاظ، كما يلى:

١ ـ الفـرج

هو ما بين الرجلين ـ بكسر الراء وهو كناية عن السوء(٢) وجمعه فروج، ويقال للرجل والمرأة على حد سواء...وقد ذكرت السنة النبوية كلمة «فرج» بالإفراد و«فروج» بالجمع «فعن» ميمونة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ﷺ قالت: توضأ رسول الله ﷺ وضوءه للصلاة ـ غير رجليه، وغسل فرجه، وما أصابه من الأذى، ثم أفاض عليه الماء، ثم نحى رجليه فغسلها، هذه غسلة من الجنابة».(٣)

---

(١) على القاضى: أضواء على التربية فى الإسلام ـ دار الأنصار ـ القاهرة ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٧٩م، ص٨٤، ٨٥.

(٢) المعجم الوسيط ـ مادة (ف ر ج) الجزد الثانى، ص٦٧٩.

(٣) الإمام الزبيدى: مختصر صحيح البخارى، المسمى بالتجريد الصريح ـ القسم الأول ـ كتاب الغسل ـ الحدث رقم ١٧٩، ص١١٧.

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: ما نظرت أو ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط[1] مما يدل على الحياء الجم والأدب الرفيع.

وقد ذكرتها السنة النبوية ـ بالجمع ـ فى حديث رسول الله ﷺ حيث قال: «أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به مما استحللتم به الفروج».[2]

٢ ـ الختان

وهو موضع القطع من الذكر والأنثى[3] وجاء ذكر كلمة الختان فى السنة النبوية، حيث قال رسول الله ﷺ: «إذا جلس بين شعبها ومس الختان الختان، فقد وجب الغسل».[4] وهنا كناية عن حدوث الفعل الذى يستوجب الغسل، الأمر الذى يدل على تميز التربية الجنسية فى السنة النبوية بالطهارة فى التصريح والتلميح.

وعن عائشة ـ زوج النبى ﷺ قالت: «إذا إلتقى الختانان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله ﷺ فاغتسلنا».[5]

إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم القدوة والنموذج فى القول والفعل والتقرير وقد تربت أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى بيت النبوة وتشربت الأدب الجم والعلم النافع حتى صارت قدوة ونموذجاً لكل امرأة عفيفة وزوجة تغار على دينها وبيتها وتنشد الكمال البشرى.

٣ ـ عورة

العورة هى الخلل أو العيب فى الشىء، وكل ما يستره الإنسان استنكافاً أو حياء.[6] والعورة هى سوءة الرجل أو المرأة أو هى المنطقة التى لا يباح النظر إليها من الرجل وهى من السرة إلى الركبتين، وعند المرأة «كلها عورة» ماعدا الوجه والكفان.

---

(١) سنن ابن ماجة: الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب التستر عند الجماع ـ الحديث رقم ١٩٢٢، ص٦١٩.

(٢) صحيح البخارى ـ الجزء السادس ـ كتاب النكاح ـ طبعة أستانبول تركيا، ص٦٧.

(٣) المعجم الوسيط ـ (مادة ـ خ ت ن) ـ الجزء الأول، ص٢١٨.

(٤) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب الغسل ـ باب نسخ «الماء من الماء» ووجوب الغسل بالتقاء الختانين ـ الحديث رقم ١٢، ص٤٩.

(٥) سنن ابن ماجة: الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب ما جاء فى وجوب الغسل إذا التقى الختانان ـ الحديث رقم ٦٠٨، ص١٩٩.

(٦) المعجم الوسيط ـ مادة (ع و ر) ـ الجزء الثانى ـ ص٦٣٦.

وقد قيل لرسول الله ﷺ : يا رسول الله: عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو (مما) ملكت يمينك.(١)

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن أبيه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد».(٢)

وجاء فى معنى العورة أنها ما ينبغى على الرجل ستره وتحدد من السرة إلى الركبتين، وما بينهما عورة، فقد جاء عن ابن عباس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ، قال: «الفخذ عورة».(٣)

وعن أبى جرهد عن أبيه أن النبى - صلى الله عليه وسلم مر به وهو كاشف عن فخذه، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - «غط فخذك فإنها من العورة».(٤)

٤ - القبل والدبر

القبل من كل شىء مقدمه(٥)، وفى التنزيل العزيز حكاية لقول شاهد يوسف: «إن كان قميصه قد من قبل فصدقت..».(٦)

الدبر هو الظهر، ويقال الإست، ومن كل شىء مؤخره وعقبه، والجمع أدبار.(٧)

جاء ذكر القبل والدبر، أو ما يدل عليهما فى السنة النبوية كناية عن مكان القذر فى الإنسان، دون تفحش فى القول أو تدنى فى المعنى.

---

(١) سنن الترمذى: الجزء الثامن - كتاب الأدب - باب ما جاء فى حفظ العورة - الحديث رقم ٢٦٧٠، ص١٥.

(٢) المرجع السابق، كتاب الأدب - باب ما جاء فى كراهية مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة - الحديث رقم ٢٧٩٤، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق - باب ما جاء أن الفخذ عورة - الحديث رقم ٢٧٩٧، ص٣٠، ٣١.

(٤) المرجع السابق، الحديث رقم ٢٧٩٩، ص٣١.

(٥) المعجم الوسيط - مادة «ق ب ل» - الجزء الثانى، ص٧١٢.

(٦) قرآن كريم سورة يوسف: من الآية ٢٦.

(٧) المعجم الوسيط - مادة (د ب ر) الجزء الأول، ص٢٦٩.

عن ابن عباس قال: «جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: هلكت، قال: وما أهلكك؟ قال: حولت رحلى الليلة، قال: فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً قال: فأنزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الآية: (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم) ـ البقرة: ٢٢٣ ـ أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة».[١]

٥ـ الحشفة

الحشفة هى رأس الذكر، ولغة هى ما يكشف عنه الختان فى عضو التذكير.[٢]

وقد جاء ذكرها فى السنة النبوية فى حديث رسول الل ه ﷺ الذى قال فيه: «إذا إلتقى الختانان وتوارت الحشفة، فقد وجب الغسل».[٣]

٦ـ الذكـر

جاء ذكر عضو التذكير عند الرجل «ذكر» أو ما يدل عليه فى السنة النبوية فى أكثر من موضع منها ما ذكر عن على ـ رضى الله عنه ـ قال: كنت رجلا مذاء، فكنت أستحيى أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته، فأمرت المقداد بن الأسود، فسأله: فقال: «يغسل ذكره ويتوضأ».[٤]

وقد ذكرت السنة النبوية المطهرة «لفظ الذكر» بألفاظ أخرى تدل عليه منها ما جاء فى حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها:

الأرب: هو العضو وهو ما يكنى به عن الذكر، أو عضو التذكير، ويلاحظ هنا مدى الدقة فى اختيار الألفاظ، لتؤدى المعانى المطلوبة، دون خدش للحياء ودون إثارة منفرة. عن عائشة ـ رضى الله عنها قالت: كان إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله ﷺ أن تأتزر فى فور حيضتها ثم يباشرها، وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يملك إربه».[٥]

---

(١) المرجع السابق، كتاب تفسير القرآن ـ الحديث رقم ٢٩٨٤، ص١٧٠.

(٢) المعجم الوسيط ـ مادة (ح ش ف) الجزء الأول، ص١٧٦.

(٣) جمع الفوائد: الجزء الأول، ص٧١.

انظر: سنن ابن ماجة: الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب ما جاء فى وجوب الغسل إذا التقى الختانان ـ الحديث رقم ٦١١، ص٢٠٠.

(٤) مختصر صحيح مسلم: كتاب الوضوء ـ باب فى غسل المذى والوضوء منه ـ الحديث رقم ١٤٤، ص٤٧.

(٥) المرجع السابق، كتاب الحيض ـ باب مباشرة الحائض فوق الإزار ـ الحديث رقم ١٧٧، ص٥٥، ٥٦.

ثانيا: ذكرت السنة النبوية الإفرازات الجنسية عند الزوجين بأسمائها، مثال ذلك:

١ ـ بضع

البضع: (الزواج، عقده، والمهر، والفرج جمعه (بضوع وأبضاع). باضع الزوجة: أى باشرها.[١]

قال رسول الله ﷺ «إن فى بضع أحدكم لأجرا، قالوا يا رسول الله: إن أحدنا ليأتى شهوته، ثم يكون له فيها أجرا؟ قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجرا» (رواه مسلم والترمذى).

كنى بالآلة وأراد أثرها وما ينتج عنها، وهذا دليل على أدب النبوة واختيار اللفظ الموحى بالمعنى المراد، والمؤدى له بأحكام.

٢ ـ نطفة

النطفة: الماء الصافى ـ جمعها نطاف والمنى جمعه (نطف). النطفة: اللؤلؤة الصغيرة الصافية.[٢]

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم».[٤]

٣ ـ الماء

الماء للرجل والمرأة أيضا. قال رسول الله ﷺ : «إنما الماء من الماء»[٥]. وجاء فى سنن ابن ماجة قول رسول الله ﷺ: «إنما الماء من الماء»[٦]. فالماء الأول هو المطهر، بينما الماء

---

(١) المعجم الوسيط ـ (مادة ب ض ع) الجزء الأول، ص٦٠.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (ن ط ف) الجزء الثانى، ص٩٣٦.

(٣) سنن ابن ماجة: الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب الأكفاء ـ الحديث رقم ١٩٦٨، ص٦٣٣.

(٤) مختصر صحيح مسلم ـ كتاب الغسل ـ باب إنما الماء من الماء ـ الحديث رقم ١٥١، ص٤٩.

(٥) سنن ابن ماجة: كتاب الطهارة وسننها ـ باب إنما الماء من الماء ـ الحديث رقم ٦٠٧، ص١٩٩.

(٦) سنن ابن ماجة: الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب فى المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل ـ الحديث رقم ٦٠١، ص١٩٧.

الثانى بمعنى المنى وما يستحق الغسل منه. ومعنى ذلك وجوب الاغتسال بالماء الطاهر إذا خرج الماء الدافق.

وهل للمرأة ماء كماء الرجل؟ نعم لها، فقد سألت أم سليم رسول الله ﷺ: «عن المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا رأت ذلك فأنزلت فعليها الغسل» فقالت أم سلمة: يا رسول الله أيكون هذا؟ قال: «نعم، ماء الرجل غليظ أبيض، وماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما سبق أو علا أشبهه الولد».(١)

٥ ـ الاحتلام

(احتلم: حلم) واحتلم الصبى أى أدرك وبلغ مبلغ الرجال. حلم: حلما، حلما: رأى فى نومه رؤيا والصبى: أدرك وبلغ الرجال.(٢)

جاء ذكر الاحتلام فى الحديث الذى روى عن عائشة رضى الله عنها ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فرأى بللا، ولم ير أنه احتلم، اغتسل، وإذا رأى أنه قد احتلم ولم ير بللا، فلا غسل عليه».(٣)

كما ذكر ما يدل عليها فى الحديث الذى روى عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى النبى ﷺ، فسألته عن المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل؟ قال: «نعم: إذا رأت الماء فلتغتسل» فقلت: فضحت النساء، وهل تحتلم المرأة؟ قال النبى ﷺ: «تربت يمينك، فيم يشبهها ولدها إذا؟».(٤)

٥ ـ المذى

المذى: مذى الرجل: مذيا ـ خرج منه المذى عند الملاعبة والتقبيل فهو ماذ، ومذا.(٥)

هو ماء رقيق يخرج عادة عند الملاعبة والتقبيل وهو يوجب الوضوء فقط لا الغسل.

---

(١) المعجم الوسيط ـ مادة (ح ل م) الجزء الأول، ص١٩٤.

(٢) سنن ابن ماجة ـ باب من احتلم ولم ير بللا ـ الحديث رقم ٦١٢، ص٢٠٠.

(٣) المرجع السابق، باب فى المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل ـ الحديث رقم ٦٠٠، ص١٩٧.

(٤) المعجم الوسيط ـ مادة (م ذ ى) الجزء الثانى، ص٨٦٠.

(٥) سنن ابن ماجة: باب الوضوء من المذى ـ الحديث رقم ٥٠٥، ص١٦٩.

وقد ذكر فى الحديث الذى جاء «عن سهل بن حنيف: قال: كنت ألقى من المذى شدة، فأكثر منه الاغتسال. فسألت رسول الله ﷺ فقال: «إنما يجزيك من ذلك الوضوء» قلت: يا رسول الله كيف بما يصيب ثوبى؟ «إنما يكفيك كف من ماء تنضح به من ثوبك حيث ترى أنه أصاب»[1]. وقد جاء ذكر المذى فى الحديث النبوى الذى جاء عن المقداد بن الأسود: أنه سأل رسول الله ﷺ، عن الرجل يدنو من امرأته فلا ينزل؟ قال: «إذا وجد أحدكم ذلك فلينضح فرجه، يعنى ليغسله ويتوضأ».[2]

وجاء عن على بن ابى طالب - رضى الله عنه قال: «كنت رجلا مذاء».[3]

٦ـ المنى

المنى: النطفة، وهى سائل أبيض غليظ تسبح فيه الحيوانات المنوية، يخرج من القضيب إثر جماع أو نحوه، ومنشؤه إفرازات الخصيتين.[4]

هو ماء الرجل عند الجماع، ولونه أبيض غليظ، ويوجب الغسل.. لقول رسول الله ﷺ لما سئل عن المذى فقال: «فيه الوضوء.. وفى المنى الغسل».[5]

وجاء عن عمر بن ميمون، قال: سألت سليمان بن يسار عن الثوب يصيبه المنى، أنغسله؟ نغسل الثوب كله؟ فقال: أى قالت عائشة: كان النبى ﷺ يصيب ثوبه فيغسله من ثوبه، ثم يخرج فى ثوبه إلى الصلاة، وأنا أرى أثر الغسل فيه.[6]

●●●

(١) المرجع السابق، الحديث رقم ٥٠٦، ص١٦٩.
(٢) مختصر صحيح مسلم: كتاب الوضوء - باب فى غسل المذى والوضوء منه - الحديث رقم ١٤٤، ص٤٧.
(٣) المعجم الوسيط، مادة (م ن ى) الجزء الثانى، ص٨٨٩.
(٤) سنن ابن ماجة: الجزء الأول - كتاب الطهارة وسننها - باب الوضوء من المذى - الحديث رقم ٥٠٤، ص١٦٨.
(٥) المرجع السابق: باب المنى يصيب الثوب - الحديث رقم ٥٣٦، ص١٧٨.
(٦) المعجم الوسيط: مادة (ب ت ل) - الجزء الأول، ص٣٨.

ثالثاً: ذكرت السنة النبوية انقطاع الرجل عن النساء أو عدم الرغبة فى الزواج بأسمائه، ومثال ذلك:

١ ـ التبتل

هو الانقطاع عن الزواج، وتركه زهداً فيه يقال تبتل أى «انقطع، والأمر بالنسبة للزواج يعنى تركه، زهدا فيه.. والتفرغ لله بالعبادة».[1]

٢ ـ الاختصاء

الاختصاء: خصاه: خصيا، وخصاء، أى سل خصيته ونزعهما فهو خاص وذاك مخصى وخصى. واختصاه: خصاه.[2]

وقد ذكرت السنة النبوية التبتل بمعنى عدم الرغبة فى النساء، والانقطاع للعبادة كما ذكرت الخصاء أو الاختصاء بمعنى: خصيت الفحل إذا سللت خصيته وذلك فى باب النهى عن التبتل والترغيب فى الزواج. «فعن الحسن بن سمرة: أن رسول الله ﷺ نهى عن التبتل».[3]

وعن سعيد بن المسيب، عن سعد، قال: لقد رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا».[4]

●●●

رابعاً: ذكرت السنة النبوية اللقاء الجنسى بين الرجل والمرأة بعدة أسماء... كما يلى

١ ـ الإتيان:

أتى: أتيا وإتيانا، وإتيا ومأتى ومأتاه: جاء، يقال: أتيت الأمر من مأتاه، ومأتاته أى من وجهه.. قرب ودنا[5]. ويقصد بالإتيان المجامعة.

---

(١) المرجع السابق، مادة (خ ص ى) الجزء الأول، ص٢٣٩.

(٢) سنن ابن ماجة ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب النهى عن التبتل ـ الحديث رقم ١٨٤٩، ص٥٩٣.

(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ١٨٤٨، ص٥٩٣.

(٤) المعجم الوسيط ـ مادة (أ ت ى) الجزء الأول، ص٤.

(٥) رياض الصالحين ـ الباب الخامس والأربعون بعد المائتين ـ فى ذكر الله تعالى قائما وقاعدا ومضجعا ومحدثا وجنبا وحائضا.. الحديث رقم ١٤٤٣، ص٦٣٣، ٦٣٤.

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله. اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد لم يضره»(٤٣) متفق عليه. ويقول رسول الله ﷺ: «أما لو أن أحدهم يقول حين يأتى أهله باسم الله، اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيضان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما فى ذلك، أو قضى ولد، لم يضره شيطان أبدا»[١] ويقول ﷺ: «من أتى حائضا، أو امرأة فى دبرها، أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد».[٢]

٢ ـ النكاح

النكاح لغة هو الضم والتداخل، يقال نكحت المرأة نكاحا: أى تزوجت فهى ناكح وناكحة. وفى التنزيل العزيز ﴿فانكحوا ما طاب لكم النساء﴾ ونكح المرأة: باضعها.[٣]

أما النكاح شرعا، فهو عقد بين الزوجين يحل به الوطء، وهو حقيقة فى العقد مجاز فى الوطء. لقول الله تعالى: ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ (النساء ٢٥) والنكاح هو طلب النساء بالوجه المشروع فى الدين. وقال أبو حنيفة: النكاح حقيقة فى الوطء مجاز فى العقد لقوله ﷺ «تناكحوا تكاثروا»[٤] وقد ذكر أن رجلا يدعى خذاما أنكح ابنة له. فكرهت نكاح أبيها، فأتت إلى رسول الله ﷺ فذكرت له. فرد عليها نكاح أبيها، فنكحت أبا لبابة ابن عبد المنذر».[٥]

يأتى النكاح بمعنى العقد فى أحاديث رسول الله ﷺ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، «أيما امرأة لم ينكحها الولى فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل»[٦] (لم ينكحها الولى أى لم يأذن الولى بنكاحها).

---

(١) مختصر صحيح البخارى، المسمى التجريد الصحيح ـ الجزء السادس ـ كتاب النكاح ـ الحديث رقم ١٧٦٨، ص١٦.

(٢) سنن ابن ماجة ـ الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب النهى عن إتيان الحائض ـ الحديث رقم ٦٣٩، ص٢٠٩.

(٣) المعجم الوسيط ـ مادة (ن ك ح) ـ الجزء الثانى، ص٩٥١.

(٤) المرجع السابق، ص١٠٨.

(٥) سنن ابن ماجة ـ الجزء الأول ـ كتاب النكاح ـ باب من زوج ابنته وهى كارهة ـ الحديث رقم ١٨٧٣، ص٦٠٢.

(٦) المرجع السابق، باب لا نكاح إلا بولى، الحديث ١٨٧٩، ص٦٠٥.

فقد قال رسول الله ﷺ: «لا نكاح إلا بولى»[1] ويأتى النكاح بمعنى الوطء فى حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم، وقد سأل أصحاب النبى ﷺ فى قوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض....) فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شىء إلا النكاح...».[2]

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ، لم ير «للمتحابين مثل النكاح».[3]

إن من حق الزوج على زوجته أن تعمل على إرضائه وإسعاده بكل ما تحبه ويرضيه.. لذا فهو يتمتع بها بقضاء حاجته منها مما يجب عليها القيام به، وعليها أن تعد نفسها لذلك، لما له من الفضل عليها ومن الحق الذى يتلو حق الله عليها.

وإن مما يزيد علاقة الزوجين قوة وثباتا واستمرارا النكاح لما له من أثر على الأفراد والمجتمع.

٣ - المباشرة

جاءت كلمة مباشرة من الفعل باشر، وتعنى ملامسة بشرة الرجل بشرة المرأة. والمباشرة هنا ليست جماعا إنها فوق الإزار بوجه غير الجماع وهى الملامسة، وترد بمعنى الوطء فى الفرج، وخارجا عنه، وهو المراد هنا. فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت، كان إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله ﷺ أن تأتزر فى فور حيضتها ثم يباشرها...»[4] إن وجوب طاعة الزوجة لزوجها إذا دعاها لفراشه من الأمور التى تحض عليها السنة النبوية وذلك لأن أقوى الأمور التى تشوش على الرجل داعية النكاح. عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كانت إحدانا إذا حاضت، أمرها النبى ﷺ أن تأتزر

---

(١) المرجع السابق، الحديث رقم ١٨٨٠، ص٦٠٥.

(٢) مختصر صحيح مسلم - كتاب المحيض، باب فى قوله تعالى: (يسألونك عن المحيض) - الحديث رقم ١٧١، ص٥٤.

(٣) سنن ابن ماجة - الجزء الأول - كتاب النكاح - باب ما جاء فى فضل النكاح - الحديث رقم ١٨٤٧، ص٥٩٣.

(٤) مختصر صحيح مسلم - كتاب الحيض - باب مباشرة الحائض فوق الإزار - الحديث رقم ١٧٧، ص٥٥، ٥٦.

بإزار ثم يباشرها»[١] إن مساعدة المرأة الرجل فى غض بصره وحفظ فرجه أمر تستحسنه السنة النبوية.. إن هذه المباشرة تعمل على خفض التوتر عند الرجل الناتج عن الرغبة الجنسية.

٤ ـ الإفضاء

(هو كناية عن الجماع): فقد قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل الذى يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها»[٢]. إن نشر أسرار الجماع وكشف الأمور الخاصة بالزوجين يجر الدمار والخراب إلى البيوت المسلمة الآمنة... وإن التربية الجنسية فى السنة النبوية تأبى هذا.

٥ ـ المضاجعة

المضاجعة لغة: من ضجع ضجعا وضجوعا أى وضع جنبه على الأرض أو نحوها، وتعنى أيضا مال إليه[٣]، وهى كناية عن الجماع.

ولقد خطب النبى ﷺ ثم ذكر النساء، فوعظهم فيهن ثم قال: «إلام يجلد أحدكم امرأته جلد الأمة؟ ولعله أن يضاجعها من آخر يومه».[٤]

وقد سئلت أم حبيبة زوج النبى ﷺ: «كيف كنت تصنعين مع رسول الله ﷺ فى الحيضة؟ قالت: كانت إحدانا، فى فورها أول ما تحيض، تشد عليها إزارا إلى أنصاف فخذها، ثم تضطجع مع رسول الله ﷺ.[٥]

٦ ـ الجماع

---

(١) سنن ابن ماجة: الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضا ـ الحديث ٦٣٥، ص٢٠٦.

(٢) رياض الصالحين ـ الباب الخامس والثلاثون فى حفظ السر ـ الحديث رقم ٦٨٤، ص٣٦٥.

(٣) المعجم الوسيط ـ مادة (ض ج ع) الجزء الثانى، ص٥٣٤.

(٤) سنن ابن ماجة: الجزء الأول ـ كتاب النكاح باب ضرب النساء ـ الحديث رقم ١٩٨٣، ص٦٣٨.

(٥) المرجع السابق ـ كتاب الطهارة وسننها ـ والرجل من امرأته إذا كانت حائضا ـ الحديث رقم ٦٣٨، ص٢٠٩.

يقال «جامع المرأة أي وطئها»[1] فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن اليهود كانوا لا يجلسون مع الحائض فى بيت، ولا يأكلون ولا يشربون، قال فذكر ذلك النبى ﷺ فأنزل الله، ويسألونك عن الحيض، قل هو أذى، فاعتزلوا النساء فى المحيض، فقال رسول الله ﷺ «اصنعوا كل شيء إلا الجماع».[2]

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته فى دبرها».[3]

٧ـ المواقعة

يقال: واقع الرجل المرأة أى جامعها[4] (والمواقعة كناية عن الجماع) وقد ذكرت السنة النبوية كلمة «وقع» وهى من المواقعة، فى الحديث النبوى الذى روى عن ابن عباس، قال: كان الرجل، إذا وقع على امرأته وهى حائض أمره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتصدق بنصف دينار».[5]

●●●

خامساً: ذكرت السنة النبوية ما يدل على رغبة الرجل فى زوجته ومعنى هذه الرغبة:

١ـ أنها دعوة

(وهى كناية عن الجماع). قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[6] متفق عليه.

وقال ﷺ: «والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان

---

(١) المعجم الوسيط ـ مادة (ج م ع) ـ الجزء الأول، ص١٣٤.

(٢) سنن ابن ماجة ـ الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب ما جاء فى مؤاكلة الحائض وسؤرها ـ الحديث رقم ٦٤٤، ص٢١١.

(٣) المرجع السابق ـ كتاب النكاح ـ باب النهى عن اتيان النساء فى أدبارهن ـ الحديث رقم ١٩٢٣، ص٦١٩.

(٤) انظر: المعجم الوسيط مادة (و ق ع) ـ الجزء الثانى، ص١٠٥٠.

(٥) سنن ابن ماجة ـ الجزء الأول ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب فى كفارة من أتى حائضا ـ الحديث رقم ٦٤٠، ص٢١٠.

(٦) رياض الصالحين: الباب الخامس والثلاثون ـ فى حق الزوج على المرأة، الحديث رقم ٢٨٢، ص١٧٤.

الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها».[1]

وقال ﷺ قال: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور».[2]

●●●

سادساً: ذكرت السنة النبوية ما يدل على القدرة على النكاح ومعنى هذه القدرة

البـــاءة

البـاءة تعنى النكاح وتعنى الجمـاع[3] وقد جـاء ذكرها فى حديث رسـول الله ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.[4]

الباءة وتطلق على الجماع والعقد، ويصح كل منهما بتقدير المضاف إلى مؤنة وأسبابه، وقد فسرت الباءة أيضا بالوطء ـ كما يقول ابن القيم، وفسرت بمؤن النكاح، وهو دون الأول من التفسير إذا المعنى هو مؤن الباءة، وفسرها ابن تيمية بأنها ليست القدرة على الوطء، ولكنها تعنى مؤن النكاح.

وإذا كان المراد بالباءة النكاح، فإن أصله الموضح تيبوؤه، ويأوى إليه، وقال النووى: الباءة على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحهما أن المراد معناها اللغوى وهو الجماع. أما المعنى الثاتى، فالمراد بالباءة، مؤنة النكاح، سميت باسم ما يلازمها وتقديره، من استطاع مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فليصم.[5]

سابعاً: ذكرت السنة النبوية، ما يعطيه الرجل لزوجته

(١) نفس المرجع السابق، ص١٧٤.
(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ٢٨٥، ص١٧٥.
(٣) المعجم الوسيط ـ مادة (ب ا ء) الجزء الأول، ص٧٥.
(٤) سنن ابن ماجة ـ كتاب النكاح ـ باب ما جاء فى فضل النكاح ـ الحديث رقم ١٨٤٥، ص٥٩٢.
(٥) الشوكانى: نيل الأوطار ـ الجزء السادس ـ كتاب النكاح ـ باب الحث عليه وكراهة تركه للقادر عليه، ص١٠٨.

مقابل زواجه منها

الصداق

يقال أصدق الرجل المرأة أى سمى لها صداقا أو أعطاها الصداق(١).. الصداق بالفتح وبالكسر أيضا، وهو أفصح ويعنى مهر المرأة بفتح الميم وتسكين الهاء.

«عن أبى سلمة، قال: سألت عائشة: كم كان صداق نساء النبىﷺ قالت: كان صداقه فى أزواجه اثنتى عشرة أوقية ونشا. هل تدرى ما النش؟ هو نصف أوقية وذلك خمسمائة درهم».(٢)

ومن السنة النبوية عدم المغالاة في الصداق «المهور» فقد قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لا تغالوا صداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة فى الدنيا، أو تقوى عند الله، كان أولادكم واحقكم بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أصدق من امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية. وإن الرجل ليثقل صدقة امرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه، ويقول: قد كلفت إليك علق القربة، أو عرق القربة»(٣). يعنى أننى تحملت الأمر الشديد.

إن الصداق هو المهر الذى يعد بمثابة هدية لازمة، وعطاء مقرر، وليس عوضا، وللمهر فى اللغة تسعة أسماء «(١) الصداق (٢) الصدقة (٣) المهر (٤) النحلة (٥) الأجر (٦) الفريضة (٧) العلائق (٨) العقر بضم العين (٩) الحياء».(٤)

●●●

ثامنا: ذكرت السنة النبوية الأسباب التى تحرم على المرأة

(١) المعجم الوسيط ـ مادة (ص د ق) ـ الجزء الأول، ص٥١٠.

(٢) سنن ابن ماجة ـ كتاب النكاح ـ باب صداق النساء ـ الحديث رقم ١٨٨٦، ص٦٠٧.

(٣) المرجع السابق، الحديث رقم ١٨٨٧، ص٦٠٧.

(٤) د. عبدالمنعم أحمد هريدى ـ أضواء على الأسرة والمجتمع فى ظلال الإسلام ـ دار أبو المجد للطباعة ـ ١٩٩٤، ص٩٩.

قراءة القرآن وهذه الأسباب هى

١ ـ الجنابة: مصدر جنب.

٢ ـ الحيض: مصدر حاض/ يحيض/ حيضة/ حيض.

فى حالة الجنابة أو الحيض يكون الإنسان، على غير طهارة، ولا يجوز لها قراءة القرآن. لما روى عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: «لا يقرأ القرآن الجنب ولا الحائض».(١)

وعن ابن عمر ـ قال: قال رسول الله ﷺ «لا يقرأ الجنب والحائض شيئاً من القرآن».(٢)

●●●

تاسعا: ذكرت السنة النبوية صفة المرأة قبل الزواج وبعده وهى

١ ـ قبل الزواج تسمى بكرا.

٢ ـ وهى فى عصمة زوجها تسمى زوجة.

٣ ـ إذا انفصلت عن زوجها تسمى مطلقة، ولا يحق لها الزواج من غير زوجها إلا بعد انقضاء عدتها.

٤ ـ بعد انقضاء العدة تسمى ثيبا ويحق لها الزواج إن أرادت وأيضا تسمى «أيما» وهى التى لا زوج لها صغيرة كانت أو كبيرة وتفضل البكر على التثبيت، لقول رسول الله ﷺ لجابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ يا جابر تزوجت؟ قال نعم قال: بكرا أم ثيبا؟ قال: قلت بل ثيب يا رسول الله، قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك، أو قال تضاحكها

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها ـ باب ما جاء فى قراءة القرآن على غير طهارة ـ الحديث رقم ٥٩٥، ص١٩٥.

(٢) المرجع السابق، الحديث رقم ٥٩٦، ص١٩٦.

وتضاحكك.[١]

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال «إذا تزوج البكر على الثبت أقام عندها سبعا، وإذا تزوج الثيب على البكر، أقام عندها ثلاثا».[٢]

وقال رسول الله ﷺ قال: لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن «قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنها قال: تسكت[٣]. والأيم هنا بمعنى الثيب، وهى من لا زوج لها.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تنكح الثيب حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن، وإذنها الصموت»[٤] الصموت هنا بمعنى كالسكون لفظا ومعنى.

وقال ﷺ: «الثيب تعرب عن نفسها والبكر رضاها صمتها»[٥] تعرب عن نفسها بمعنى تظهر وتخبر وتكشف عن نفسها.

■■■

(١) مختصر صحيح مسلم - النكاح - باب فى نكاح البكر - الحديث رقم ٧٩٩، ص٢٠٨.
(٢) المرجع السابق - الحديث رقم ٨٤٠، ص٢١٨.
(٣) المرجع السابق - باب استئمار الأيم والبكر فى النكاح - الحديث رقم ٨٠٢، ص ص٢٠٨، ٢٠٩.
(٤) سنن ابن ماجة: الجزء الأول - كتاب النكاح - باب استئمار البكر والثيب - الحديث رقم ١٨٧١ ص٦٠٢.
(٥) المرجع السابق ن الحديث رقم ١٨٧٢، ص٦٠٢.

الفهرس

